# النهي عن القدوة السيئة وبيان أضرارها

**إعداد**

**الباحث في القرآن والسنة**

**علي بن نايف الشحود**

**الطبعة الأولى**

**١٤٣٣هـ ٢٠١٢ م**

## بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين،والصلاة والسلام على سيد المرسلين،وعلى آله وصحبه أجمعين،ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فهذه رسالة تحذر من القدوة السيئة وتبين عواقبها الوخيمة على المرء ...قال تعالى:{وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ (٩٦) إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ (٩٧) يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ (٩٨) وَأُتْبِعُوا فِي هَذِهِ لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ بِئْسَ الرِّفْدُ الْمَرْفُودُ (٩٩)} [هود]

وقد سرت فيها وفق المباحث التالية:

المبحث الأول = تعريفه لغة واصطلاحا وحكمه

المبحث الثاني =الآيات الواردة في النهي عن «القدوة السيئة»

المبحث الثالث = الأحاديث الواردة في ذمّ (القدوة السيئة) معنى

المبحث الرابع =من الآثار وأقوال العلماء الواردة في ذمّ (القدوة السيئة)

المبحث الخامس =أبحاث تحذر من القدوة السيئة

المبحث السادس = بعض النماذج السيئة التي حذر منها القرآن

الخلاصة في مضار (القدوة السيئة)

وقد استفدت كثيراً من موسوعة النضرة النعيم جزاهم الله خيرا

سائلا المولى عزَّوجلَّ أن ينفع بها كاتبها وقارها وناشرها والـــدال عليه في الدارين .

قال تعالى على لسان النبي شعيب عليه السلام: {قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيـــدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ} [هود:٨٨]

**الباحث في القرآن والسنة**

**علي بن نايف الشحود**

في ١١ ربيع الأول ١٤٣٣ هـــ الموافق ل ٢٠١٢/٢/٣ م

❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁

# المبحث الأول

## تعريفه لغة واصطلاحا وحكمه

**القدوة لغة:**

القدوة هي الاسم من الاقتداء،وكلاهما مأخوذ من مادّة (ق د و) الّتي تدلّ على اقتياس بالشّيء واهتداء،ومقادرة للشّيء حتّى يؤتى به مساويا لغيره،يقول ابن فارس:ومن ذلك قولهم:هذا قدى رمح أي قيسه،وفلان قدوة أي يقتدى به،ومن الباب:فلان يقدو به فرسه،إذا لزم سنن السّيرة،وإنّما سمّي ذلك قدوا لأنّه تقدير في السّيرة،وتقدّى فلان على دابّته،إذا سار سيرة على استقامة،وقيل:القدو (بالكسر) هو الأصل الّذي يتشعّب منه الفروع.[1]

وفي المصباح:" الْقُدْوَةُ اسْمٌ مِنْ اقْتَدَى به إذَا فَعَلَ مِثْلَ فِعْله تَأَسِّيًا وَفُلَانٌ قُدْوَةٌ أَيْ يُقْتَدَى به وَالضَّمُّ أَكْثَرُ مِنْ الْكَسْرِ قَالَ ابْنُ فَارِسٍ وَيُقَالُ إنَّ الْقُدْوَةَ الْأَصْلُ الَّذِي يَتَشَعَّبُ مِنْهُ الْفُرُوعُ."[2]

---

[1] – المقاييس (٥/ ٦٦)، الصحاح (٦/ ٢٤٦٠)، القاموس المحيط (١٧٠٦) (ط. بيروت)

[2] – المصباح المنير في غريب الشرح الكبير (٢/ ٤٩٤)

قدا:القَــدْوُ:أَصــل الْبِنَــاءِ الــذي يَتَشَــعَّبُ منــه تَصْــرِيفُ الاقْتدَاء،يُقَالُ:قدْوَةٌ وقُدْوةٌ لمَا يُقْتَدى به.ابْنُ سيدَهْ:القُدْوَة والقدْوَة مَا تَسَنَّنْتَ به،قُلبَت الْوَاوُ فيه يَاءً للْكَسْرَة الْقَرِيبَة منْــهُ وضَــعْف الْحَاجز.والقدَى:جَمْعُ قدْوَة يُكْتَبُ بالْيَاء.والقدَة:كالقدْوة.يُقَالُ:لي بكَ قدْوَةٌ وقُدْوَة وقدَةٌ،وَمثْلُهُ حَظــيَ فــلانٌ حظْــوةً وحُظْــوةً وحظة،وَدَاري حذْوةَ دارك وحُذْوةَ دَاركَ وحذةَ دَاركَ،وَقَد اقْتَدَى به.والقُدوة والقدوة:الأُسْوة.يُقَالُ:فُلَانٌ قُدْوَة يُقْتَــدَى بــه.ابْــنُ الأَعرابي:القَدْوةُ التقَدُّمُ.يُقَالُ فُلَانٌ لَا يُقاديه أَحد وَلَا يُماديه أَحد وَلَا يُباريه أَحد وَلَا يُجاريــه أَحــد،وَذَلكَ إذا بَــرَّز فــي الخِــلال كُلِّهَا.والقدْيةُ:الهدْيةُ،يُقَالُ:خُذْ في هدْيَتك وقدْيَتك أَي فيمَا كُنْتَ فيه.

وتَقَدَّت به دابَّته:لَزمَتْ سَنَنَ الطَّريق،وتَقَدَّى هُوَ عَلَيْهَا،وَمَنْ جَعَلَهُ منَ الْيَاء أَخذه منَ القَدَيان،وَيَجُوزُ في الشِّعْر جَــاءَ تَقْــدُو بــه دَابَّتُهُ.وقَدَى الفرسُ يَقْدي قَدَياناً:أَســـرع،وَمَرَّ فُلَــانٌ تَقْــدُو بــه فرسُه.يُقَالُ:مرَّ بي يَتَقَدَّى فرسُه أَي يلزَم به سَنَنَ السِّيرة.وتَقَــدَّيْتُ عَلَى فَرَسي،وتَقَدَّى به بعيرُه:أَسرع.أَبو عُبَيْد:منْ عَنَــق الْفَــرَس التَّقَدِّي،وتَقَدِّي الفرس استْعانَتُه بهَاديه في مَشْيه برَفْع يَدَيْه وقَبْض رِجْلَيْه شبْه الخَبَب.وقَدا اللحمُ والطعامُ يَقْدُو قَدْواً وقَدَى يَقْــدي

قَدْياً وقَديَ،بالْكَسْرِ،يَقْدَى قَدًى كُلُّهُ بمَعْنَى إذا شَممْت لَهُ رَائحَةً طَيِّبَةً.يُقَالُ:شممت قَدَاةَ القدْرِ،وَهِيَ قَديةٌ عَلَى فَعلة أَي طَيِّبَةُ الرِّيح؛ وأَنشد ابْنُ بَرِّيٍّ لِمُبَشِّرِ بْنِ هُذَيْلٍ الشَّمْخي:

يقاتُ زَادًا طَيِّباً قَداتُه

وَيُقَالُ:هَذَا طَعَامٌ لَهُ قَداةٌ وقَداوة؛ عَنْ أَبي زَيْد،قَالَ:وَهَذَا يَـــدُلُّ أَن لَامَ القَدا وَاوٌ.وَمَا أَقْدَى طعـــامَ فـــلان أَي مَـــا أَطيَـــبَ طَعْمـــه وَرَائحَتَهُ.ابْنُ سيدَهْ:وَطَعَامٌ قَديٌّ وقَد طَيِّبُ الطَّعم وَالرَّائحَـــة،يَكُونُ ذَلكَ في الشِّواء وَالطَّبيخِ،قَديَ قَدًى وقَدَاوَةً وقَدُوَ قَـــدْواً وقَـــداةً وقَدَاوَةً.وَحَكَى كُرَاعٌ:إِني لَأَجدُ لِهَذَا الطَّعَام قَداً أَي طيبًا،قَالَ:فَلَـــا أَدري أَطيبَ طَعْمٍ عَنى أَم طيب رَائحَة.قَالَ أَبو زَيْد:إذا كَانَ الطَّبيخُ طَيِّب الرِّيح قُلْتَ قَديَ يَقْدَى وذَميَ يَذْمى.أَبو زَيْد:يُقَالُ:أَتَتْنا قَاديَةٌ منَ النَّاس أَي جَمَاعَةٌ قَليلَةٌ،وَقيلَ:القَاديَةُ منَ النَّاس أَول مَا يطـــرأُ عَلَيْكَ،وَجَمْعُهُا قَواد.وقَدْ قَدَت،فَهِيَ تَقْدي قَدْياً،وَقيلَ:قَدَتْ قَاديَةٌ إذا أَتى قَوْمٌ قَدْ أَنْجَمُوا منَ الْبَاديَة،وَقَالَ أَبو عَمْرٍو:قاذيةٌ،بالـــذَّال الْمُعْجَمَة،وَالْمَحْفُوظُ مَا قَالَ أَبو زَيْد.أَبو زَيْد:قَدًى وأَقْدَاء وَهُـــمُ النَّاسُ يَتَسَاقَطُونَ بالْبَلَد فَيُقيمُونَ به ويَهْدؤون.ابْنُ الأَعرابي:القَـــدْو القُدوم منَ السَّفَر،والقَدْوُ القُرْب.وأَقْدَى إذا اسْتَوَى فـــي طَريـــق الدِّين،وأَقْدَى أَيضاً إذا أَسَنَّ وَبَلَغَ الْمَوْتَ.أَبو عَمْرٍو:وأَقْدَى إذا قَدمَ

مِنْ سَفَر،وأَقْدَى إِذا اسْتَقَامَ فِي الْخَيْرِ.وَهُوَ مِنِّي قِدَى رُمْحٍ،بِكَسْرِ الْقَاف،أَي قَدْرَه،كأَنه مَقْلُوبٌ مِنْ قِيدَ.الأَصمعي:بَيْنِي وَبَيْنَهُ قِدَى قَوْسٍ،بِكَسْرِ الْقَاف.وقِيد قَوْسٍ وقادَ قَوْسٍ؛ وأَنشد:

ولكنَّ إِقْدامي إِذا الخيلُ أَحْجَمَتْ،..وصَبْري إِذا مَا الموتُ كَانَ قِدَى الشِّبْرِ

وَقَالَ هُدبة بْنُ الخَشْرم:

وإِني،إِذا مَا الموتُ لَمْ يَكُ دُونَه ..قِدَى الشِّبْرِ،أَحْمِي الأَنْفَ أَن أَتأَخرا

قَالَ الأَزهري:قِدَى وقادَ وقِيدَ كُلُّهُ بِمَعْنَى قَدْرِ الشَّيْء.أَبو عُبَيْد:سَمِعْتُ الْكِسَائِيَّ يَقُولُ سِنْدَأْوةٌ وقِنْدَأْوَةٌ،وَهُوَ الْخَفِيفُ؛ قَالَ الْفَرَّاءُ:وَهِيَ مِنَ النُّوق الْجَرِيئَةُ.قَالَ شَمِرٌ:قِنْدَاوَة يُهْمَزُ وَلَا يُهْمَزُ.ابْنُ سِيدَهْ:وقِدَةُ هُوَ هَذَا الْمَوْضِعُ الذي يُقَالُ لَهُ الكُلاب،قَالَ:وإِنما حُمِلَ عَلَى الْوَاوِ لأَن ق د وأَكثر مِنْ ق د ي.[3].

**القدوة اصطلاحا:**

قال المناويّ،القدوة:هي الاقتداء بالغير ومتابعته والتّأسّي به[4].

والقدوة السّيّئة هي:الاقتداء بأهل الباطل ومتابعتهم والتّأسّي بهم في فعل السّيّئات وترك الحسنات[5].

---

[3] – لسان العرب (١٥/ ١٧١)

[4] – التوقيف (٢٦٩).

[5] – اقتبسنا هذا التعريف مما ذكره كل من المناوي في التوقيف (٢٦٩) وما ذكره العز بن عبد السلام عن الاقتداء بأهل الحق (انظر شجرة المعارف والأحوال (ص ٣٤٤).

**حكم القدوة السيئة:**

إنّ من يقتدى بشخص ويتّخذه إماما له فلا شكّ أنّه يحبّه ويتمنّى أن يصير مثله،ويؤدّي الاقتداء بأهل الباطل إلى محبّتهم والدّفاع عن سيّئاهم وشرورهم،والابتعاد عن الصّالحين ويدفع هذا بصاحبه إلى ارتكاب كبيرة نصّ عليها الأئمّة،يقول ابن حجر:(الْكَبِيرَةُ الرَّابِعَةُ وَالْخَامِسَةُ وَالْخَمْسُونَ:مَحَبَّةُ الظَّلَمَةِ أَوْ الْفَسَقَةِ بِأَيِّ نَوْعٍ كَانَ فِسْقُهُمْ،وَبُغْضُ الصَّالِحِينَ)[٦].



[٦] – الزواجر عن اقتراف الكبائر (١/ ١٨٣)

## المبحث الثاني

## الآيات الواردة في النهي عن «القدوة السيئة»

قال تعالى: { وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ (١٩) وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ مَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ (٢٠) أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا مِنْ قَبْلِهِ فَهُمْ بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ (٢١) بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ (٢٢) وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ (٢٣) قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكُمْ بِأَهْدَى مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ (٢٤) فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ (٢٥) } [الزخرف]

وَاعْتَقَدَ الْمُشْرِكُونَ أَنَّ المَلاَئِكَةَ - وَهُمْ عَبِيدٌ للهِ،وَخَلْقٌ مِنْ خَلْقِه - هُمْ مِنْ جِنْسِ الإِنَاثِ وَسَمُّوهُمْ بِذَلِكَ،وَحَكَمُوا عَلَيهِمْ،فَهَلْ كَانُوا حَاضِرِينَ حِينَمَا خَلَقَهُمُ اللهُ فَعَرفُوا أَنَّهُمْ إِنَاثٌ؟ إِنَّهُمْ لَمْ يَشْهَدُوا شَيئاً.ثُمَّ تَهَدَّدَهُم اللهُ تَعَالَى فَقَالَ لَهُمْ:إِنَّهُ سَيَكْتُبُ شَهَادَتَهُمْ هَذِه،وَسَيَسْأَلُهُمْ عَنْهَا يَوْمَ القِيَامَةِ،وَيُحَاسِبُهُمْ عَلَيْهَا .

فَالْمُشْرِكُونَ كَفُروا فِي قَوْلِهِمْ إِنَّ المَلاَئِكَةَ بَنَاتُ اللهِ،وَإِنَّهُمْ إِنَـــاثٌ مِنْ ثَلاَثَة وُجُوه:

- إِنَّهُمْ نَسَبُوا بِقَوْلِهِمْ هَذَا الوَلَدَ لله سُبْحَانَهُ جَلَّ عَنْ ذَلِكَ .

- ثُمَّ أَعْطَوْا مَا يَعْتَقِدُونَهُ أَخَسَّ النَّصِيبين لله ( البَنَات ) .

- ثُمَّ اسْتَخَفُّوا بِالمَلاَئِكَة فَجَعَلُوهُمْ مِنْ جِنْسِ الإِنَاث .

وَقَالَ المُشْرِكُونَ:لَوْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى أَنْ لاَ يَعْبُدُوا هَذِهِ الأَصْنَامَ التِـــي صَوّرُوهَا عَلَى جِنْسِ المَلاَئِكَة وَقَالُوا عَنْهَا إِنَّهَا بَنَاتُ اللهِ،لَحَـــالَ اللهُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ذَلِكَ،فَهُوَ تَعَالَى عَالِمٌ بِعِبَـــادَتِهِم لَهَـــا،وَهُوَ يُقِـــرُّهُمْ عَلَيْهَا.وَفِي الحَقِيقَة فَإِنَّ هَؤُلاَءِ لاَ دَلِيلَ لَهُمْ عَلَى صِـــحَّة قَـــوْلِهِمْ هَذَا،وَلاَ بُرْهَانَ لَهُمْ عَلَيْـــه،وَمَا هُـــمْ فِـــي دَعْـــوَاهُمْ هَـــذِه إِلاَّ كَاذِبُونَ،مُتَقَوِّلُونَ عَلَى اللهِ،نَاسِبُونَ إِلَيه مَا لَمْ يَقُلْهُ ( مُتَخَرِّصُونَ ) .

أَمْ يَعْتَمِد هَؤُلاَءِ فِي شِرْكِهِمْ وَعِبَادَتِهِم الأَصْنَامَ عَلَى أَنَّ اللهَ تَعَـــالَى أَعْطَاهُمْ كِتَاباً قَبْلَ هَذَا القُرْآنِ ( أَوْ قَبْلَ شِرْكِهِمْ هَذَا ) فِيه دَلِيـــلٌ عَلَى صِحَّة مَا ذَهَبُوا إِلَيه مِنْ عِبَادَة الأَصْنَامِ فَهُمْ يَسْتَنِدُونَ إِلَيه؟

إِنَّ اللهَ تَعَالَى لَمْ يُؤْتِهِمْ شَيْئاً مِنْ ذَلِكَ،فَلاَ حُجَّةَ لَهُـــمْ عَلَـــى مَـــا قَالُوا،وَلاَ بُرْهَانَ وَلاَ دَلِيلَ .

وَإِذْ فَقَدَ الْمُشْرِكُونَ كُلَّ حُجَّةٍ وَدَلِيلٍ عَلَى صِحَّةِ مَا ذَهَبُوا إِلَيهِ مِنْ عِبَــادَةِ الأَصْــنَامِ،قَالُوا:إِنَّهُـــمْ وَجَـــدُوا آبَـــاءَهُمْ يَعْبُـــدُونَهَا فَعَبَدُوهَا،وَاتَّبِعُوهُمْ فِي ذَلِكَ مُقْتَدِينَ بِهِمْ،لأَنَّهُمْ يَعْتَقِدُونَ أَنَّ آباءهُمْ أَرْجَحُ مِنْهُمْ عُقُولاً،وَأَصَحُّ أَفْهَاماً،فَلاَ يُمكِنُ أَنْ يَكُونُوا فِي عِبَــادَةِ الأَصْنَامِ عَلَى ضَلاَلٍ .

وَلَيْسَتْ مَقَالَةُ مُشْرِكِي قُرَيشٍ هَذِهِ شَيئاً مبْتَــدعاً مِنْهُمْ،فَــإِنَّ اللهَ تَعَالَى لَمْ يُرْسِلْ رَسُولاً إِلَى قَرْيَةٍ مِنَ الأُمَمِ السَّالِفَةِ إِلاَّ قَــالَ أَهْــلُ الجَاهِ والرِّيَاسَةِ فِيهَا:إِنَّهُمْ وَجَدُوا آبَاءَهُمْ عَلَى دِينٍ وَمِلَّةٍ ( أُمَّــةٍ ) وَإِنَّهُمْ يَتْبَعُونَ طَرِيقَهُمْ،وَيَسِيرُونَ عَلَى نَهْجِهِمْ،وَيَقْتَدُونَ بِهِمْ فِيمَــا كَانُوا يَفْعَلُونَ .

فَقَالَ لَهُمَ رَسُولُهُمْ:وَهَلْ سَتَسْتَمِرُّونَ فِي السَّيْرِ عَلَى نَهْجِ آبَــائِكُمْ وَأَسْلاَفِكُمْ حَتَّى وَلَوْ جِئْتُكُمْ بِمَا هُوَ أَكْثَرُ هِدَايَةً إِلَى طَرِيقِ الحَــقِّ؟ فَرَدُّوا عَلَيْهِ قَائِلِينَ إِنَّهُمْ مُقِيمُونَ عَلَى دِينِ آبَائِهِمْ وَلَوْ جَاءَهُمْ بِمَــا هُوَ أَفْضَلُ وَأَهْدَى،وَإِنَّهُمْ كَافِرُونَ بِمَا جَاءَهُمْ بِهِ،فَلاَ فَائِــدَةَ فِــي دَعْوَتِهِمْ إِلَى تَرْكِ دِينِ آبَائِهِمْ .

فَأَنْزَلَ اللهُ بَأْسهُ وَنَقْمَتَهُ عَلَى هَؤُلاَءِ الْمُكَذِّبِينَ لِرُسُلِهِمْ مِنَ الأُمَــمِ الخَالِيَةِ،فَانْظُرْ يَا مُحَمَّدُ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَــةُ أَمْرِهِمْ،وَكَيْــفَ أَنَّ اللهَ

تَعَالَى دَمَّرَ عَلَيْهِمْ دِيَارَهُمْ فَلَمْ يَتْرُكْ لَهُـــمْ بَاقِيةً،كَـــذَلِكَ يَفْعَـــلُ بِالْمُجْرِمِينَ .[٧]



[٧] – أيسر التفاسير لأسعد حومد (ص: ٤٢٢٣، بترقيم الشاملة آليا)

## المبحث الثالث

## الأحاديث الواردة في ذمّ ( القدوة السيئة ) معنى

١- عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ،قَالَ:" أَبْغَضُ النَّاسِ إِلَى اللَّهِ ثَلاَثَةٌ:مُلْحِدٌ فِي الحَرَمِ،وَمُبْتَغٍ فِي الإِسْلاَمِ سُنَّةَ الجَاهِلِيَّةِ،وَمُطَّلِبُ دَمِ امْرِئٍ بِغَيْرِ حَقٍّ لِيُهَرِيقَ دَمَهُ "[8].

٢- عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ سَمُرَةَ،رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ:قَالَ النَّبِيُّ ﷺ:«أَعَاذَكَ اللَّهُ مِنْ أُمَرَاءَ يَكُونُونَ بَعْدِي» قَالَ:وَمَا هُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ:«مَنْ دَخَلَ عَلَيْهِمْ فَصَدَّقَهُمْ وَأَعَانَهُمْ عَلَى جَوْرِهِمْ فَلَيْسَ مِنِّي وَلَا يَرِدَ عَلَيَّ الْحَوْضَ»[9]

٣ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ:أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لِكَعْبِ بْنِ عُجْرَةَ:«أَعَاذَكَ اللَّهُ يَا كَعْبُ بْنَ عُجْرَةَ مِنْ إِمَارَةِ السُّفَهَاءِ»،قَالَ:وَمَا إِمَارَةُ السُّفَهَاءِ؟ قَالَ:«أُمَرَاءُ يَكُونُونَ بَعْدِي،لَا

---

[8] - صحيح البخاري (٩/ ٦)(٦٨٨٢ )

[ ش (أبغض الناس) أكثرهم عقابا منه وبعدا عن رحمته. (ملحد) ظالم مائل عن الحق والعدل بارتكاب المعصية. (مبتغ) طالب ومتبع. (سنة الجاهلية) طريقتها وعاداتها وأخلاق أهلها. (مطلب) متكلف للطلب وساع وراءه في كل مكان. (بغير حق) يستبيح دمه. (ليهريق دمه) ليسيله وهو كناية عن القتل]

[9] - المستدرك على الصحيحين للحاكم (٤/ ١٤١)(٧١٦٢ ) صحيح

يَهْدُونَ بِهَدْيِي،وَلَا يَسْتَنُّونَ بِسُنَّتِي،فَمَنْ صَدَّقَهُمْ بِكَذِبِهِمْ،وَأَعَانَهُمْ عَلَى ظُلْمِهِمْ،فَأُولَئِكَ لَيْسُوا مِنِّي وَلَسْتُ مِنْهُمْ،وَلَا يَــرِدُونَ عَلَــيَّ حَوْضِي،وَمَنْ لَمْ يُصَدِّقْهُمْ عَلَى كَذِبِهِمْ،وَلَمْ يُعِنْهُمْ عَلَى ظُلْمِهِــمْ فَأُولَئِكَ مِنِّي،وَأَنَا مِنْهُمْ،وَسَيَرِدُونَ عَلَيَّ حَوْضِــي،يَا كَعْــبُ بْــنَ عُجْرَةَ،الصَّوْمُ جُنَّةٌ،وَالصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الْخَطِيئَةَ،وَالصَّلَاةُ قُرْبَــانٌ – أَوْ قَالَ:بُرْهَانٌ – يَا كَعْبُ بْنَ عُجْرَةَ،إِنَّهُ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ لَحْمٌ نَبَتَ مِنْ سُحْتٍ أَبَدًا النَّارُ أَوْلَى بِهِ،يَا كَعْبُ بْنَ عُجْرَةَ،النَّاسُ غَادِيَانِ فَمُبْتَاعٌ نَفْسَهُ،فَمُعْتِقُهَا أَوْ بَائِعُهَا فَمُوبِقُهَا».[١٠]

٤– عَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ،قَالَ:قِيلَ لَهُ:أَلَا تَدْخُلُ عَلَى عُثْمَانَ فَتُكَلِّمَهُ؟ فَقَالَ:أَتَرَوْنَ أَنِّي لَا أُكَلِّمُهُ إِلَّا أُسْمِعُكُمْ؟ وَاللهِ لَقَدْ كَلَّمْتُهُ فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَهُ،مَا دُونَ أَنْ أَفْتَتِحَ أَمْرًا لَا أُحِبُّ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ فَتَحَــهُ،وَلَا أَقُولُ لِأَحَدٍ،يَكُونُ عَلَيَّ أَمِيرًا:إِنَّهُ خَيْرُ النَّاسِ بَعْدَ مَا سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ:" يُؤْتَى بِالرَّجُلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ،فَيُلْقَى فِي النَّارِ،فَتَنْــدَلِقُ أَقْتَابُ بَطْنِهِ،فَيَدُورُ بِهَا كَمَا يَدُورُ الْحِمَارُ بِالرَّحَى،فَيَجْتَمِعُ إِلَيْهِ أَهْلُ النَّارِ،فَيَقُولُونَ:يَا فُلَانُ مَا لَكَ؟ أَلَمْ تَكُنْ تَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ،وَتَنْهَى عَنِ

[١٠] جامع معمر بن راشد (١١/ ٣٤٦) (٢٠٧١٩ ) صحيح

الْمُنْكَرِ؟ فَيَقُولُ:بَلَى،قَدْ كُنْتُ آمُرُ بِالْمَعْرُوفِ وَلَا آتِيهِ،وَأَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ وَآتِيهِ ".[11]

٥- عَنْ أَبِي وَاقِدٍ اللَّيْثِيِّ،أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَمَّا خَرَجَ إِلَى حُنَيْنٍ مَرَّ بِشَجَرَةٍ لِلْمُشْرِكِينَ يُقَالُ لَهَا:ذَاتُ أَنْوَاطٍ يُعَلِّقُونَ عَلَيْهَا أَسْلِحَتَهُمْ،فَقَالُوا:يَا رَسُولَ اللَّهِ،اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ كَمَا لَهُمْ ذَاتُ أَنْوَاطٍ،فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ:" سُبْحَانَ اللَّهِ هَذَا كَمَا قَالَ قَوْمُ مُوسَى {اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ} [الأعراف:١٣٨] وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَرْكَبُنَّ سُنَّةَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ "[12].

---

[11] - صحيح مسلم (٤/ ٢٢٩٠) ٥١ - (٢٩٨٩)

[ ش (أترون أني لا أكلمه إلا أسمعكم) معناه أتظنون أني لا أكلمه إلا وأنتم تسمعون (ما دون أن أفتتح أمرا لا أحب أن أكون أول من فتحه) يعني المجاهرة بالإنكار على الأمراء في الملأ كما جرى لقتلة عثمان رضي الله عنه (فتندلق أقتاب بطنه) قال أبو عبيد الأقتاب الأمعاء قال الأصمعي واحدها قتبة وقال غيره قتب وقال ابن عيينة هي ما استدار في البطن وهي الحوايا والأمعاء وهي الأقصاب واحدها قصب والاندلاق خروج الشيء من مكانه]

[12] - سنن الترمذي ت شاكر (٤/ ٤٧٥) (٢١٨٠ ) صحيح

أنواط : جمع نوط، وهو مصدر نطت به كذا وكذا انوط نوطا : إذا علقته به، ويسمى المنوط بالنوط.

وعَنْ رِبْعِيٍّ بْنِ حِرَاشٍ،قَالَ:قَالَ حذَيْفَةُ:لَتَرْكَبُنَّ سُنَّةَ بَنِي إِسْـرَائِيلَ حَذْوَ النَّعْلِ بِالنَّعْلِ وَالْقُذَّةِ بِالْقُذَّةِ غَيْرَ أَنِّي لاَ أَدْرِي تَعْبُدُونَ الْعِجْـلَ أَمْ لاَ.[13]

وعَنْ حُذَيْفَةَ قَالَ:" لَتُنْقَضَنَّ عُرَى الْإِسْلَامِ عُرْوَةً عُرْوَةً،حَتَّى لَا يَقُولَ عَبْدٌ:مَهْ مَهْ،وَلَتَرْكَبُنَّ سُنَنَ الْأُمَمِ قَبْلَكُمْ حَـذْوَ النَّعْـلِ بِالنَّعْلِ،لَـا تُخْطِئُونَ طَرِيقَهُمْ،وَلَا يُخْطِئُكُمْ،حَتَّى لَوْ أَنَّهُ كَانَ فِيمنْ كَانَ قَبْلَكُمْ مِـنَ الْـأُمَمِ أُمَّـةٌ يَـأْكُلُونَ الْعَـذِرَةَ رَطْبَـةً أَوْ يَابِسَـةً لَأَكَلْتُمُوهَا،وَسَتَفْضُلُوهُمْ بِثَلَاثِ خِصَالٍ لَمْ تَكُنْ فِيمنْ كَانَ قَـبْلَكُمْ مِنَ الْأُمَمِ:نَبْشُ الْقُبُورِ،وَسُمْنَةُ النِّسَاءِ،تَسْمُنُ الْجَارِيَةُ حَتَّى تَمُـوتَ شَحْمًا،وَحَتَّى يَكْتَفِيَ الرِّجَالُ بِالرِّجَالِ دُونَ النِّسَاءِ،وَالنِّسَاءُ بِالنِّسَاءِ دُونَ الرِّجَالِ،أَيْمُ اللَّهِ إِنَّهَا لَكَائِنَةٌ وَلَوْ قَدْ كَانَـتْ خُسِـفَ بِهِـمْ وَرُجِمُوا كَمَا فُعِلَ بِقَوْمِ لُوطٍ،وَاللَّهِ مَا هُوَ بِالرَّأْيِ وَلَكِنَّـهُ الْحَـقُّ الْيَقِينُ "[14]

---

[13] - مصنف ابن أبي شيبة -دار القبلة (21/ 161) (38542) صحيح ومثله لا يقال بالرأي

القذة : ريشة السهم، وجمعها قذذ، وتكون أيضا متساوية الأقدار، تقص كل ريشة على قدر الأخرى.

[14] - البدع لابن وضاح (2/ 137)(193 ) صحيح لغيره

وعَنْ هُزَيْلٍ،قَالَ:قَالَ عَبْدُ اللهِ:أَنْتُمْ أَشْبَهُ النَّاسِ سَمْتًا وَهَـدْيًا بِبَنِـي إِسْرَائِيلَ لَتَسْلُكُنَّ طَرِيقَهُمْ حَذْو القذة بِالْقُذَّةِ وَالنَّعْلِ بِالنَّعْلِ "[15]
وعَنْ أَبِي الْبَخْتَرِيِّ،قَالَ:قَالَ حُذَيْفَةُ:لاَ يَكُونُ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ شَيْءٌ إِلاَّ كَانَ فِيكُمْ مِثْلُهُ،فَقَالَ رَجُلٌ يكون فِينَا قَوْمُ لُوطٍ،قَالَ:نَعَمْ،وَمَـا تَرَى بَلَغَ ذَلِكَ لاَ أُمَّ لَك .[16]

٦- عَنْ أَبِي سَعِيدٍ،رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَـالَ:" إِنَّ الشَّيْطَانَ قَالَ:وَعِزَّتِكَ يَا رَبِّ لَا أَبْرَحُ أُغْوِي عِبَادَكَ مَـا دَامَـتْ أَرْوَاحُهُمْ فِي أَجْسَادِهِمْ،فَقَالَ الرَّبُّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى:وَعِزَّتِي وَجَلَالِي لَا أَزَالُ أَغْفِرُ لَهُمْ مَا اسْتَغْفَرُونِي »[17].

٧- عَنْ ثَوْبَانَ،قَـالَ:قَـالَ رَسُـولُ اللهِ ﷺ:" إِنَّ اللهَ زَوَى لِـي الْأَرْضَ،فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا،وَإِنَّ أُمَّتِي سَيَبْلُغُ مُلْكُهَا مَا زُوِيَ لِي مِنْهَا،وَأُعْطِيتُ الْكَنْزَيْنِ الْأَحْمَرَ وَالْأَبْيَضَ،وَإِنِّي سَأَلْتُ رَبِّي لِأُمَّتِي أَنْ لَا يُهْلِكَهَا بِسَنَةٍ عَامَّةٍ،وَأَنْ لَا يُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِـنْ سِـوَى أَنْفُسِهِمْ،فَيَسْتَبِيحَ بَيْضَتَهُمْ،وَإِنَّ رَبِّي قَالَ:يَا مُحَمَّدُ إِنِّي إِذَا قَضَـيْتُ قَضَاءً فَإِنَّهُ لَا يُرَدُّ،وَإِنِّي أَعْطَيْتُكَ لِأُمَّتِكَ أَنْ لَـا أُهْلِكَهُـمْ بِسَـنَةٍ عَامَّةٍ،وَأَنْ لَا أُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِـنْ سِـوَى أَنْفُسِهِمْ،يَسْـتَبِيحُ

[15] - مصنف ابن أبي شيبة -دار القبلة (٢١/ ١٥٤) (٣٨٥٣٣) صحيح
[16] - مصنف ابن أبي شيبة -دار القبلة (٢١/ ١٥٤) (٣٨٥٣٤) صحيح لغيره
[17] - المستدرك على الصحيحين للحاكم (٤/ ٢٩٠) (٧٦٧٢ ) حسن

بَيْضَتَهُمْ،وَلَوِ اجْتَمَعَ عَلَيْهِمْ مَنْ بِأَقْطَارِهَا - أَوْ قَالَ مَنْ بَيْنَ أَقْطَارِهَا - حَتَّى يَكُونَ بَعْضُهُمْ يُهْلِكُ بَعْضًا،وَيَسْبِي بَعْضُهُمْ بَعْضًا "[18]

٨- عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ العَاصِ قَالَ:سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ:«إِنَّ اللَّهَ لاَ يَقْبِضُ العِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنَ العِبَادِ،وَلَكِنْ يَقْبِضُ العِلْمَ بِقَبْضِ العُلَمَاءِ،حَتَّى إِذَا لَمْ يُبْقِ عَالِمًا اتَّخَذَ النَّاسُ رُءُوسًا جُهَّالًا،فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ،فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا»[19] .

٩- عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ،عَنْ أَبِيهِ،رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ:انْتَهَيْتُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ فِي قُبَّةٍ مِنْ أَدَمٍ حَمْرَاءَ فِي نَحْوٍ مِنْ أَرْبَعِينَ رَجُلًا فَقَالَ:«إِنَّهُ مَفْتُوحٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ مَنْصُورُونَ مُصِيبُونَ فَمَنْ أَدْرَكَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَلْيَتَّقِ اللَّهَ وَلْيَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَلْيَنْهَ عَنِ

[18] - صحيح مسلم (٤/ ٢٢١٥) ١٩ - (٢٨٨٩)

[ ش (زوى) معناه جمع (الكنزين الأحمر والأبيض) المراد بالكنزين الذهب والفضة والمراد كنزا كسرى وقيصر ملكي العراق والشام (فيستبيح بيضتهم) أي جماعتهم وأصلهم والبيضة أيضا العز والملك (أن لا أهلكهم بسنة عامة) أي لا أهلكهم بقحط يعمهم بل إن وقع قحط فيكون في ناحية يسيرة بالنسبة إلى باقي بلاد الإسلام]

[19] - صحيح البخاري (١/ ٣٢) (١٠٠ )

[ ش (انتزاعا) محوا من صدور العلماء. (بقبض العلماء) بموتهم. (رؤوسا) جمع رأس وفي رواية (رؤوساء) جمع رئيس والمعنى واحد. (الفريري) هو أحد من سمع الصحيح عن البخاري ورواه عنه]

الْمُنْكَرِ وَلْيَصِلْ رَحِمَهُ وَمَثَلُ الَّذي يُعِينُ قَوْمَهُ عَلَى غَيْرِ الْحَقِّ كَمَثَلِ الْبَعِيرِ يَتَرَدَّى فَهُوَ يَمُدُّ بِذَنَبِه»[20]

١٠- عَنْ أَبِي مُوسَى،عَنِ النَّبِيِّ ﷺ،قَالَ:" إِنَّمَا مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ،وَالْجَلِيسِ السَّوْءِ،كَحَامِلِ الْمِسْكِ،وَنَافِخِ الْكِيرِ،فَحَامِلُ الْمِسْكِ:إِمَّا أَنْ يُحْذِيَكَ،وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ،وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً،وَنَافِخُ الْكِيرِ:إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ،وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ رِيحًا خَبِيثَةً "[21].

١١- عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ،عَنْ جَدِّهِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو،قَالَ:سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ:«خَصْلَتَانِ مَنْ كَانَتَا فِيهِ كَتَبَهُ اللَّهُ شَاكِرًا صَابِرًا،وَمَنْ لَمْ تَكُونَا فِيهِ لَمْ يَكْتُبْهُ اللَّهُ شَاكِرًا وَلَا صَابِرًا،مَنْ نَظَرَ فِي دِينِهِ إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقَهُ فَاقْتَدَى بِهِ،وَنَظَرَ فِي دُنْيَاهُ إِلَى مَنْ هُوَ دُونَهُ فَحَمِدَ اللَّهَ عَلَى مَا فَضَّلَهُ بِهِ عَلَيْهِ كَتَبَهُ اللَّهُ شَاكِرًا وَصَابِرًا،وَمَنْ نَظَرَ فِي دِينِهِ إِلَى مَنْ هُوَ دُونَهُ،وَنَظَرَ فِي دُنْيَاهُ إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقَهُ فَأَسِفَ عَلَى مَا فَاتَهُ مِنْهُ لَمْ يَكْتُبْهُ اللَّهُ شَاكِرًا وَلَا صَابِرًا»[22].

---

[20] - المستدرك على الصحيحين للحاكم (٤/ ١٧٥) (٧٢٧٥ ) صحيح

[21] - صحيح مسلم (٤/ ٢٠٢٦) ١٤٦ - (٢٦٢٨)

الكير : منفاخ الحداد ، وكوره : المبني من الطين للنار.يحذيك : يعطيك ، من الحذية ، والحذيا : العطية.

[22] - سنن الترمذي ت شاكر (٤/ ٦٦٥) (٢٥١٢ ) حسن لغيره

١٢- عن حُذَيْفَةَ بْنِ اليَمَانِ قَالَ:كَانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنِ الخَيْرِ،وَكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنِ الشَّرِّ مَخَافَةَ أَنْ يُدْرِكَنِي،فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا كُنَّا فِي جَاهِلِيَّةٍ وَشَرٍّ،فَجَاءَنَا اللَّهُ بِهَذَا الخَيْرِ،فَهَلْ بَعْدَ هَذَا الخَيْرِ مِنْ شَرٍّ؟ قَالَ:«نَعَمْ» قُلْتُ:وَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الشَّرِّ مِنْ خَيْرٍ؟ قَالَ:«نَعَمْ،وَفِيهِ دَخَنٌ» قُلْتُ:وَمَا دَخَنُهُ؟ قَالَ:«قَوْمٌ يَهْدُونَ بِغَيْرِ هَدْيِي،تَعْرِفُ مِنْهُمْ وَتُنْكِرُ» قُلْتُ:فَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الخَيْرِ مِنْ شَرٍّ؟ قَالَ:«نَعَمْ،دُعَاةٌ إِلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ،مَنْ أَجَابَهُمْ إِلَيْهَا قَذَفُوهُ فِيهَا» قُلْتُ:يَا رَسُولَ اللَّهِ،صِفْهُمْ لَنَا؟ فَقَالَ:«هُمْ مِنْ جِلْدَتِنَا،وَيَتَكَلَّمُونَ بِأَلْسِنَتِنَا» قُلْتُ:فَمَا تَأْمُرُنِي إِنْ أَدْرَكَنِي ذَلِكَ؟ قَالَ:تَلْزَمُ جَمَاعَةَ المُسْلِمِينَ وَإِمَامَهُمْ،قُلْتُ:فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ جَمَاعَةٌ وَلاَ إِمَامٌ؟ قَالَ «فَاعْتَزِلْ تِلْكَ الفِرَقَ كُلَّهَا،وَلَوْ أَنْ تَعَضَّ بِأَصْلِ شَجَرَةٍ،حَتَّى يُدْرِكَكَ المَوْتُ وَأَنْتَ عَلَى ذَلِكَ»[٢٣]

---

[٢٣] - صحيح البخاري (٤/ ١٩٩) (٣٦٠٦ ) وصحيح مسلم (٣/ ١٤٧٥)٥١ - (١٨٤٧)

[ ش (أسأله عن الشر) أستوضحه عنه. (مخافة أن يدركني) خوفا من أن أقع فيه أو أدرك زمنه. (دخن) من الدخان أي ليس خيرا خالصا بل فيه ما يشوبه ويكدره وقيل الدخن الأمور المكروهة. (تعرف منهم وتنكر) أي ترى منهم أشياء موافقة للشرع وأشياء مخالفة له. (جلدتنا) من أنفسننا وقومنا وقيل هم في الظاهر مثلنا ومعنا وفي الباطن مخالفون لنا في أمورهم وشؤونهم وجلدة الشيء ظاهره. (جماعة المسلمين) عامتهم التي تلتزم بالكتاب والسنة. (إمامهم) أميرهم العادل الذي اختاروه ونصبوه عليهم. (تعض

١٣- عَنِ الْمُنْذِرِ بْنِ جَرِيرٍ،عَنْ أَبِيهِ،قَالَ:كُنَّا عِنْدَ رَسُـــولِ اللهِ ﷺ فِي صَدْرِ النَّهَارِ،قَالَ:فَجَاءَهُ قَوْمٌ حُفَاةٌ عُرَاةٌ مُجْتَـــابِي النِّمَـــارِ أَوِ الْعَبَاءِ،مُتَقَلِّدِي السُّيُوفِ،عَامَّتُهُمْ مِنْ مُضَرَ،بَلْ كُلُّهُمْ مِنْ مُضَرَ فَتَمَعَّرَ وَجْهُ رَسُولِ اللهِ ﷺ لِمَا رَأَى بِهِمْ مِنَ الْفَاقَةِ،فَدَخَلَ ثُمَّ خَرَجَ،فَـــأَمَرَ بِلَالًا فَأَذَّنَ وَأَقَامَ،فَصَلَّى ثُمَّ خَطَبَ فَقَالَ:{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ} [النساء:١] إِلَى آخِرِ الْآيَـــةِ،{إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا} [النساء:١] وَالْآيَةَ الَّتِي فِي الْحَشْرِ:{اتَّقُوا اللهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللهَ} [الحشر:١٨] «تَصَدَّقَ رَجُلٌ مِنْ دِينَارِهِ،مِنْ دِرْهَمِهِ،مِنْ ثَوْبِهِ،مِنْ صَاعِ بُرِّهِ،مِنْ صَاعِ تَمْرِهِ - حَتَّى قَالَ - وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ» قَالَ:فَجَاءَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ بِصُرَّةٍ كَادَتْ كَفُّهُ تَعْجِزُ عَنْهَا،بَلْ قَدْ عَجَزَتْ،قَالَ:ثُمَّ تَتَابَعَ النَّـــاسُ،حَتَّى رَأَيْتُ كَوْمَيْنِ مِنْ طَعَامٍ وَثِيَابٍ،حَتَّى رَأَيْتُ وَجْهَ رَسُـــولِ اللهِ ﷺ يَتَهَلَّلُ،كَأَنَّهُ مُذْهَبَةٌ،فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:«مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُـــنَّةً حَسَنَةً،فَلَهُ أَجْرُهَا،وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ،مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِـــنْ أُجُورِهِمْ شَيْءٌ،وَمَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً،كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهَـــا

---

بأصل شجرة) أي حتى ولو كان الاعتزال بالعض على أصل شجرة والعض هو الأخـــذ بالأسنان والشد عليها والمراد المبالغة في الاعتزال]

وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ،مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ»[24]

١٤- عَنْ عَبْدِ اللهِ،قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:«لَا تُقْتَلُ نَفْسٌ ظُلْمًا،إِلَّا كَانَ عَلَى ابْنِ آدَمَ الْأَوَّلِ كِفْلٌ مِنْ دَمِهَا،لِأَنَّهُ كَانَ أَوَّلَ مَنْ سَنَّ الْقَتْلَ»[25]

---

[24] - صحيح مسلم (٢/ ٧٠٥) ٦٩ - (١٠١٧)

[ ش (مجتابي النمار) نصب على الحالية أي لابسيها خارقين أوساطها مقورين يقال اجتبت القميص أي دخلت فيه والنمار جمع نمرة وهي ثياب صوف فيها تنمير وقيل هي كل شملة مخططة من مآزر الأعراب كأنها أخذت من لون النمر لما فيها من السواد والبياض أراد أنه جاءه قوم لابسي أزر مخططة من صوف (العباء) بالمد وبفتح العين جمع عباءة وعباية لغتان نوع من الأكسية (فتعمر) أي تغير (كومين) هو بفتح الكاف وضمها قال القاضي ضبطه بعضهم بالفتح وبعضهم بالضم قال ابن سراج هو بالضم اسم لما كوم وبالفتح المرة الواحدة قال والكومة بالضم الصبرة والكوم العظيم من كل شيء والكوم المكان المرتفع كالرابية قال القاضي فالفتح هنا أولى لأن مقصوده الكثرة والتشبيه بالرابية (يتهلل) أي يستنير فرحا وسرورا (مذهبة) ضبطوه بوجهين أحدهما وهو المشهور وبه جزم القاضي والجمهور مذهبة والثاني ولم يذكر الحميدي في الجمع بين الصحيحين غيره مدهنة وقال القاضي عياض في المشارق وغيره من الأئمة هذا تصيحف وذكر القاضي وجهين في تفسيره أحدهما معناه فضة مذهبة فهو أبلغ في حسن الوجه وإشراقه والثاني شبهه في حسنه ونوره بالمذهبة من الجلود وجمعها مذاهب وهي شيء كانت العرب تصنعه من جلود وتجعل فيها خطوط مذهبة يرى بعضها إثر بعض]

[25] - صحيح البخاري (٤/ ١٣٣) (٣٣٣٥ ) وصحيح مسلم (٣/ ١٣٠٣)٢٧ - (١٦٧٧)

١٥- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ،عَنِ النَّبِيِّ ﷺ،قَالَ:«لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَأْخُذَ أُمَّتِي بِأَخْذِ القُرُونِ قَبْلَهَا،شِبْرًا بِشِبْرٍ وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ»،فَقِيلَ:يَا رَسُولَ اللَّهِ،كَفَارِسَ وَالرُّومِ؟ فَقَالَ:«وَمَنِ النَّاسُ إِلَّا أُولَئِكَ»[٢٦]

١٦- عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ،عَنِ النَّبِيِّ ﷺ،قَالَ:«لَتَتْبَعُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ،شِبْرًا شِبْرًا وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ،حَتَّى لَوْ دَخَلُوا جُحْرَ ضَبٍّ تَبِعْتُمُوهُمْ»،قُلْنَا:يَا رَسُولَ اللَّهِ،اليَهُودُ وَالنَّصَارَى؟ قَالَ:«فَمَنْ»[٢٧] .

---

[ ش (لا تقتل نفس ظلما) هذا الحديث من قواعد الإسلام وهو أن كل من ابتدع شيئا من الشر كان عليه مثل وزر كل من اقتدى به في ذلك فعمل مثل عمله إلى يوم القيامة ومثله من ابتدع شيئا من الخير كان له مثل أجر من يعمل به إلى يوم القيامة وهو موافق للحديث الصحيح (من سن سنة حسنة ومن سن سنة سيئة) وللحديث الصحيح (من دل على خير فله مثل أجر فاعله) وللحديث الصحيح (ما من داع يدعو إلى هدى وما من داع يدعو إلى ضلالة) (كفل) الكفل الجزء والنصيب وقال الخليل هو الضعف]

[٢٦] - صحيح البخاري (٩/ ١٠٢) (٧٣١٩ )

[ ش (بأخذ القرون) تسير بسيرة الأمم قبلها. (شبرا بشبر) الشبر ما بين رأس الإبهام ورأس الخنصر والكف مفتوحة مفرقة الأصابع والمراد بيان شدة اتباعهم والمبالغة في تقليدهم. وذكر فارس والروم لأنهم كانوا أكبر ممالك الأرض حينئذ وأكثرهم رعية وأوسعهم بلادا والناس إنما يقلدون من كان هذا حاله وليس المراد الحصر. وكذلك ذكره لليهود والنصارى في الحديث الآتي لأنهم كانوا المشهورين بالديانات السماوية]

[٢٧] - صحيح البخاري (٩/ ١٠٣) (٧٣٢٠) وصحيح مسلم (٤/ ٢٠٥٤) ٦ - (٢٦٦٩)

١٧- عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو،قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:«لَيَأْتِيَنَّ عَلَى أُمَّتِي مَا أَتَى عَلَى بني إسرائيل حَذْوَ النَّعْلِ بِالنَّعْلِ،حَتَّى إِنْ كَانَ مِنْهُمْ مَنْ أَتَى أُمَّهُ عَلَانِيَةً لَكَانَ فِي أُمَّتِي مَنْ يَصْنَعُ ذَلِكَ،وَإِنَّ بني إسرائيل تَفَرَّقَتْ عَلَى ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ مِلَّةً،وَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ مِلَّةً،كُلُّهُمْ فِي النَّارِ إِلَّا مِلَّةً وَاحِدَةً»،قَالُوا:وَمَنْ هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ:«مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي»[٢٨]

١٨- عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ،عَنِ النَّبِيِّ ﷺ،قَالَ:" مَا بَعَثَ اللَّهُ مِنْ نَبِيٍّ،وَلاَ اسْتَخْلَفَ مِنْ خَلِيفَةٍ،إِلَّا كَانَتْ لَهُ بِطَانَتَانِ:بِطَانَةٌ تَأْمُرُهُ بِالْمَعْرُوفِ وَتَحُضُّهُ عَلَيْهِ،وَبِطَانَةٌ تَأْمُرُهُ بِالشَّرِّ وَتَحُضُّهُ عَلَيْهِ،فَالْمَعْصُومُ مَنْ عَصَمَ اللَّهُ تَعَالَى "[٢٩].

١٩- عَنْ عَبْدِ اللهِ،قَالَ:«مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَلْقَى اللهَ غَدًا مُسْلِمًا،فَلْيُحَافِظْ عَلَى هَؤُلَاءِ الصَّلَوَاتِ حَيْثُ يُنَادَى بِهِنَّ،فَإِنَّ اللهَ شَرَعَ لِنَبِيِّكُمْ ﷺ سُنَنَ الْهُدَى،وَإِنَّهُنَّ مِنْ سُنَنِ الْهُدَى،وَلَوْ أَنَّكُمْ صَلَّيْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ كَمَا يُصَلِّي هَذَا الْمُتَخَلِّفُ فِي بَيْتِهِ،لَتَرَكْتُمْ سُنَّةَ نَبِيِّكُمْ،وَلَوْ تَرَكْتُمْ سُنَّةَ نَبِيِّكُمْ لَضَلَلْتُمْ،وَمَا مِنْ رَجُلٍ يَتَطَهَّرُ فَيُحْسِنُ

---

[ ش (سنن) السنن هو الطريق والمراد بالشبر والذراع وجحر الضب التمثيل بشدة الموافقة لهم والمراد الموافقة في المعاصي والمخالفات لا في الكفر]

[٢٨] - سنن الترمذي ت شاكر (٥/ ٢٦) (٢٦٤١ ) حسن لغيره

[٢٩] - صحيح البخاري (٩/ ٧٧) (٧١٩٨ )

الطُّهُورَ،ثُمَّ يَعْمِدُ إِلَى مَسْجِدٍ مِنْ هَذِهِ الْمَسَاجِدِ،إِلَّا كَتَبَ اللهُ لَــهُ بِكُلِّ خَطْوَةٍ يَخْطُوهَا حَسَنَةً،وَيَرْفَعُهُ بِهَا دَرَجَةً،وَيَحُطُّ عَنْــهُ بِهَــا سَيِّئَةً،وَلَقَدْ رَأَيْتُنَا وَمَا يَتَخَلَّفُ عَنْهَا إِلَّا مُنَافِقٌ مَعْلُومُ النِّفَاقِ،وَلَقَــدْ كَانَ الرَّجُلُ يُؤْتَى بِهِ يُهَادَى بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ حَتَّى يُقَامَ فِي الصَّفِّ»[30].

٢٠- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ،قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:" مَنْ سَنَّ سُنَّةَ ضَلَالٍ فَاتُّبِعَ عَلَيْهَا،كَانَ عَلَيْهِ مِثْلُ أَوْزَارِهِمْ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ،وَمَنْ سَنَّ سُنَّةَ هُدًى فَاتُّبِعَ عَلَيْهَا،كَانَ لَهُ مِثْلُ أُجُورِهِمْ مِــنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْءٌ "[31]



[30] - صحيح مسلم (١/ ٤٥٣) ٢٥٧ - (٦٥٤)
[ ش (يهادى بين رجلين) أي يمسكه رجلان من جانبيه بعضديه يعتمد عليهما]
[31] - مسند أحمد ط الرسالة (١٦/ ٣٢٦) (١٠٥٥٦ ) صحيح لغيره

## المبحث الرابع

## من الآثار وأقوال العلماء الواردة في ذمّ ( القدوة السيئة )

١- قَالَ عيسَى - عَلَيْه الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - مَثَلُ الْعُلَمَاءِ السُّوءِ مَثَلُ صَخْرَةٍ وَقَعَتْ عَلَى فَمِ النَّهْرِ لَا تَشْرَبُ وَلَا تَتْرُكُ الْمَاءَ يَخْلُصُ إِلَى الزَّرْعِ وَمَثَلُ قَنَاة الْبَالُوعَةِ ظَاهِرُهَا جَصٌّ وَبَاطِنُهَا نَتْنٌ وَمَثَلُ الْقُبُورِ ظَاهِرُهَا عَامِرٌ وَبَاطِنُهَا عِظَامُ الْمَوْتَى،وَالْحَديثُ فِي الْجَامعِ بِهَذِهِ الرِّوَايَةِ عَنْ هَذَا الْمَخْرَجِ «شِرَارُ أُمَّتِي شِرَارُ الْعُلَمَاءِ فِي النَّاسِ»[٣٢].

٢- عن زُهَيْرَ بْنِ سَالِمٍ أَنَّ عُمَيْرَ بْنَ سَعْد الْأَنْصَارِيَّ كَانَ وَلَّاهُ عُمَرُ حِمْصَ ...فَذَكَرَ الْحَديثَ،قَالَ عُمَرُ - يَعْنِي لِكَعْبٍ -:إِنِّي أَسْأَلُكَ عَنْ أَمْرٍ فَلا تَكْتُمْني.قَالَ:وَاللهِ لَا أَكْتُمُكَ شَيْئًا أَعْلَمُهُ.قَالَ:مَا أَخْوَفُ شَيْءٍ تَخَوَّفُهُ عَلَى أُمَّة مُحَمَّد ﷺ؟ قَالَ:أَئمَّةً مُضلِّينَ.قَالَ عُمَرُ:صَدَقْتَ،قَدْ أَسَرَّ ذَلكَ إِلَيَّ وَأَعْلَمَنيه رَسُولُ اللهِ ﷺ "[٣٣].

---

[٣٢] - إحياء علوم الدين (١/ ٦٠) وقوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد (١/ ٢٤٤) وبريقة محمودية في شرح طريقة محمدية وشريعة نبوية في سيرة أحمدية (٢/ ٢٠٧)

[٣٣] - مسند أحمد ط الرسالة (١/ ٣٨٩) (٢٩٣ ) حسن

٣– قَالَ أَبُو كَبْشَةَ السَّلُولِيُّ:سَمِعْتُ أَبَا الدَّرْدَاءِ،رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ يَقُولُ:«إِنَّ مِنْ شَرِّ النَّاسِ عِنْدَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ مَنْزِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَالِمًا لَا يَنْتَفِعُ بِعِلْمِهِ»[٣٤].

٤– قال أَبُو عَبْدِ اللهِ الْخَوَّاصُ،وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِ حَاتِمٍ ،:دَخَلْتُ مَعَ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ حَاتِمٍ الْأَصَمِّ الرِّيَّ وَمَعَنَا ثَلَاثُمائَةٍ وَعِشْرُونَ رَجُلًا نُرِيدُ الْحَجَّ وَعَلَيْهِمُ الصُّوفُ وَالذُّرْنْيَانَقَاتُ لَيْسَ مَعَهُمْ شَرَابٌ وَلَا طَعَامٌ،فَدَخَلْنَا الرِّيَّ فَدَخَلْنَا عَلَى رَجُلٍ مِنَ التُّجَّارِ مُتَنَسِّكٌ يُحِبُّ الْمُتَقَشِّفِينَ فَأَضَافَنَا تِلْكَ اللَّيْلَةَ فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ،قَالَ لِحَاتِمٍ:يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ لَكَ حَاجَةٌ فَإِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَعُودَ فَقِيهًا لَنَا هُوَ عَلِيلٌ،فَقَالَ حَاتِمٌ:" إِنَّ كَانَ لَكُمْ فَقِيهٌ عَلِيلٌ فَعِيَادَةُ الْفَقِيهِ لَهَا فَضْلٌ وَالنَّظَرُ إِلَى الْفَقِيهِ عِبَادَةٌ وَأَنَا أَيْضًا أَجِيءُ مَعَكَ،وَكَانَ الْعَلِيلُ مُحَمَّدَ بْنَ مُقَاتِلٍ قَاضِي الرِّيِّ فَقَالَ:سِرْ بِنَا يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ فَجَاءُوا إِلَى الْبَابِ فَإِذَا بَابٌ مُشْرِفٌ حَسَنٌ فَبَقِيَ حَاتِمٌ مُتَفَكِّرًا،بَابُ عَالِمٍ عَلَى هَذِهِ الْحَالِ ثُمَّ أَذِنَ لَهُمْ فَدَخَلُوا فَإِذَا دَارُ نُورٍ وَإِذَا فُوَّةٌ وَأَمْتِعَةٌ وَسُتُورٌ وَجَمَعَ فَبَقِيَ حَاتِمٌ مُتَفَكِّرًا،ثُمَّ دَخَلَ إِلَى الْمَجْلِسِ الَّذِي هُوَ فِيهِ فَإِذَا بِفُرُشٍ وَطِيئَةٍ وَإِذَا هُوَ رَاقِدٌ عَلَيْهَا وَعِنْدَ رَأْسِهِ غُلَامٌ وَمُذْبَةٌ،فَقَعَدَ الرَّازِيُّ وَسَأَلَهُ بِهِ وَحَاتِمٌ قَائِمٌ فَأَوْمَأَ إِلَيْهِ ابْنُ مُقَاتِلٍ

---

[٣٤] – حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (١/ ٢٢٣) فيه مبهم

اقْعُدْ،فَقَالَ:لَا أَقْعُدُ،فَقَالَ لَهُ ابْنُ مُقَاتِلٍ:لَعَلَّ لَكَ حَاجَةً قَـــالَ:نَعَـــمْ قَالَ:وَمَا هِيَ قَالَ:مَسْأَلَةٌ أَسْأَلُكَ عَنْهَا قَالَ:سَلْنِي،قَالَ:نَعَمْ،فَاسْـــتَوِ حَتَّى أَسْأَلَكُهَا فَأَمَرَ غِلْمَانَهُ فَأَسْنَدُوهُ،فَقَالَ لَهُ حَاتِمٌ:عِلْمُكَ هَذَا مِنْ أَيْنَ جِئْتَ بِهِ قَالَ:الثِّقَاتُ حَدَّثُونِي بِهِ،قَالَ:عَـــنْ مِنْ،قَـــالَ:عَـــنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ،قَالَ:رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنْ أَيْنَ جَاءَ بِهِ قَالَ:عَنْ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ،قَالَ حَاتِمٌ:فَفِيمَ أَدَّاهُ جِبْرِيلُ عَنِ اللهِ وَأَدَّاهُ إِلَـــى رَسُولِ اللهِ ﷺ وَأَدَّاهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى أَصْحَابِهِ،وَأَدَّاهُ أَصْحَابُهُ إِلَى الثِّقَاتِ،وَأَدَّاهُ الثِّقَاتُ إِلَيْكَ هَلْ سَمِعْتَ فِيَ الْعِلْمِ مَنْ كَانَ فِي دَارِهِ أَمِيرٌ أَوْ مَنَعَةٌ أَكْثَرُ كَانَتْ لَهُ الْمَنْزِلَةُ عِنْدَ اللهِ أَكْثَرُ قَالَ:لَا قَالَ:فَكَيْفَ سَمِعْتَ مَنْ زَهِدَ فِي الدُّنْيَا وَرَغِبَ فِي الْآخِرَةِ وَأَحَبَّ الْمَسَـــاكِينَ وَقَدَّمَ لِآخِرَتِهِ كَانَ لَهُ عِنْدَ اللهِ الْمَنْزِلَةُ أَكْثَرُ قَالَ حَاتِمٌ:فَأَنْتَ بِمَـــنِ اقْتَنَعْتَ؟ بِالنَّبِيِّ ﷺ وَأَصْحَابِهِ وَالصَّالِحِينَ أَمْ بِفِرْعَوْنَ وَنَمْرُوذَ أَوَّلَ مَنْ بَنَى بِالْجَصِّ وَالْآجُرِّ،يَا عُلَمَاءَ السُّـــوءِ،مِثْلُكُمْ يَـــرَاهُ الْجَاهِـــلُ الطَّالِبُ لِلدُّنْيَا الرَّاغِبُ فِيهَا فَيَقُولُ:الْعَالِمُ عَلَى هَذِهِ الْحَالَةِ لَا أَكُونُ أَنَا شَرًّا مِنْهُ وَخَرَجَ مِنْ عِنْدِهِ فَازْدَادَ ابْنُ مُقَاتِلٍ مَرَضًا فَبَلَغَ ذَلِـــكَ أَهْلَ الرِّيِّ مَا جَرَى بَيْنَهُ وَبَيْنَ ابْنِ مُقَاتِلٍ،فَقَالُوا لَهُ:يَـــا أَبَـــا عَبْـــدِ الرَّحْمَنِ إِنَّ الطَّنَافِسِيَّ بِقَزْوِينَ أَكْثَرُ شَيْءٍ مِنْ هَذَا قَالَ:فَسَارَ إِلَيْـــهِ مُتَعَمِّدًا فَدَخَلَ عَلَيْهِ فَقَالَ:رَحِمَكَ اللهُ أَنَا رَجُلٌ أَعْجَمِيٌّ أُحِـــبُّ أَنْ

تُعَلِّمَنِي أَوَّلَ مُبْتَدَأً دِينِي وَمِفْتَاحَ صَلَاتِي وَكَيْفَ أَتَوَضَّأُ لِلصَّلَاةِ قَالَ:نَعَمْ وَكَرَامَةً،يَا غُلَامُ،إِنَاءً فِيهِ مَاءٌ،فَأَتَى بِإِنَاءٍ فِيهِ مَاءٌ،فَقَعَدَ الطَّنَافِسِيُّ فَتَوَضَّأَ ثَلَاثًا ثَلَاثًا ثَلَاثًا ثُمَّ قَالَ:يَا هَذَا هَكَذَا فَتَوَضَّأَ قَالَ حَاتِمٌ:مَكَانَكَ يَرْحَمُكَ اللهُ حَتَّى أَتَوَضَّأَ بَيْنَ يَدَيْكَ فَيَكُونُ أَوْكَدُ لِمَا أُرِيدُ فَقَامَ الطَّنَافِسِيُّ،فَقَعَدَ حَاتِمٌ فَتَوَضَّأَ ثَلَاثًا ثَلَاثًا حَتَّى إِذَا بَلَغَ غَسْلَ الذِّرَاعَيْنِ غَسَلَ أَرْبَعًا فَقَالَ لَهُ الطَّنَافِسِيُّ:يَا هَذَا أَسْرَفْتَ،قَالَ لَهُ حَاتِمٌ:فَلِمَاذَا قَالَ:غَسَلْتَ ذِرَاعَيْكَ أَرْبَعًا قَالَ حَاتِمٌ:يَا سُبْحَانَ اللهِ أَنَا فِي،كَفٍّ مِنْ مَاءٍ أَسْرَفْتُ وَأَنْتَ فِي هَذَا الْجَمْعِ كُلِّهِ لَمْ تُسْرِفْ فَعَلِمَ الطَّنَافِسِيُّ أَنَّهُ أَرَادَهُ بِذَلِكَ لَمْ يُرِدْ أَنْ يَتَعَلَّمَ مِنْهُ شَيْئًا فَدَخَلَ إِلَى الْبَيْتِ فَلَمْ يَخْرُجْ إِلَى النَّاسِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا وَكَتَبَ إِلَى تُجَّارِ الرِّيِّ وَقَزْوِينَ بِمَا جَرَى بَيْنَهُ وَبَيْنَ ابْنِ مُقَاتِلٍ وَالطَّنَافِسِيِّ فَلَمَّا دَخَلَ بَغْدَادَ اجْتَمَعَ إِلَيْهِ أَهْلُ بَغْدَادَ،فَقَالُوا لَهُ:يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ أَنْتَ رَجُلٌ أَلْكَنُ أَعْجَمِيٌّ لَيْسَ يُكَلِّمُكَ أَحَدٌ إِلَّا قَطَعْتَهُ قَالَ:مَعِي ثَلَاثُ خِصَالٍ بِهِنَّ أَظْهَرُ عَلَى خَصْمِي،قَالُوا:أَيُّ شَيْءٍ هِيَ قَالَ:أَفْرَحُ إِذَا أَصَابَ خَصْمِي،وَأَحْزَنُ إِذَا أَخْطَأَ وَأَحْفَظُ نَفْسِي أَنْ لَا أَتَجَهَّلُ عَلَيْهِ فَبَلَغَ ذَلِكَ أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ،فَقَالَ:سُبْحَانَ اللهِ مَا أَعْقَلَهُ قُومُوا بِنَا حَتَّى نَسِيرَ إِلَيْهِ فَلَمَّا دَخَلُوا،قَالُوا لَهُ:يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ مَا السَّلَامَةُ مِنَ الدُّنْيَا؟ قَالَ حَاتِمٌ:يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ لَا تَسْلَمُ مِنَ الدُّنْيَا حَتَّى يَكُونَ

مَعَكَ أَرْبَعُ خِصَالٍ قَالَ:أَيُّ شَيْءٍ هِيَ يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ،قَالَ:تَغْفِرُ لِلْقَوْمِ جَهْلَهُمْ وَتَمْنَعُ جَهْلَكَ عَنْهُمْ وَتَبْذُلُ لَهُمْ شَيْئَكَ،وَتَكُونُ مِنْ شَيْئِهِمْ آيِسًا،فَإِذَا كَانَ هَذَا سَلِمْتَ.ثُمَّ سَارَ إِلَى الْمَدِينَةِ فَاسْتَقْبَلَهُ أَهْلُ الْمَدِينَةِ،فَقَالَ:يَا قَوْمُ أَيُّ مَدِينَةٍ هَذِهِ قَالُوا:مَدِينَةُ رَسُولِ اللهِ ﷺ،قَالَ:فَأَيْنَ قَصْرُ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَأُصَلِّي فِيهِ رَكْعَتَيْنِ،قَالُوا:مَا كَانَ لَهُ قَصْرٌ،إِنَّمَا كَانَ لَهُ بَيْتٌ لَاطِئٌ،قَالَ:فَأَيْنَ قُصُورُ أَصْحَابِهِ بَعْدَهُ،قَالُوا:مَا كَانَ لَهُمْ قُصُورٌ،إِنَّمَا كَانَ لَهُمْ بُيوتٌ لَاطِئَةٌ قَالَ حَاتِمٌ:يَا قَوْمُ فَهَذِهِ مَدِينَةُ فِرْعَوْنَ وَجُنُودِهِ،فَذَهَبُوا بِهِ إِلَى السُّلْطَانِ فَقَالُوا:هَذَا الْعَجَمِيُّ يَقُولُ:هَذِهِ مَدِينَةُ فِرْعَوْنَ وَجُنُودِهِ،قَالَ الْوَالِي:وَلِمَ ذَاكَ؟ قَالَ حَاتِمٌ:لَا تَعْجَلْ عَلَيَّ أَنا رَجُلٌ عَجَمِيٌّ غَرِيبٌ دَخَلْتُ الْمَدِينَةَ،فَقُلْتُ:مَدِينَةُ مَنْ هَذِهِ،قَالُوا:مَدِينَةُ رَسُولِ اللهِ ﷺ،وقُلْتُ:فَأَيْنَ قَصْرُ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَأُصَلِّي فِيهِ رَكْعَتَيْنِ قَالُوا:مَا كَانَ لَهُ قَصْرٌ إِنَّمَا كَانَ لَهُ بَيْتٌ لَاطِئٌ،قُلْتُ:فَلِأَصْحَابِهِ بَعْدَهُ،قَالُوا:مَا كَانَ لَهُمْ قُصُورٌ إِنَّمَا كَانَ لَهُمْ بُيوتٌ لَاطِئَةٌ وَقَالَ اللهُ تَعَالَى {لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ} [الأحزاب:٢١] فَأَنْتُمْ بِمَنْ تَأَسَّيْتُمْ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ وَأَصْحَابِهِ أَمْ بِفِرْعَوْنَ أَوَّلَ مَنْ بَنَى بِالْجَصِّ وَالْآجُرِ،فَخَلَّوا عَنْهُ وَعَرَفُوهُ فَكَانَ حَاتِمٌ كُلَّمَا دَخَلَ الْمَدِينَةَ يَجْلِسُ عِنْدَ قَبْرِ النَّبِيِّ ﷺ يُحَدِّثُ وَيَدْعُو،فَاجْتَمَعَ عُلَمَاءُ الْمَدِينَةِ،فَقَالُوا:تَعَالَوْا حَتَّى نُخْجِلَهُ فِي مَجْلِسِهِ فَجَاؤُوهُ،وَمَجْلِسُهُ غَاصٌّ

بِأَهْلِه،فَقَالُوا:يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ،مَسْأَلَةٌ نَسْأَلُكَ قَالَ:سَلُوا،قَالُوا:مَا تَقُولُ فِي رَجُلٌ يَقُولُ:اللهُمَّ ارْزُقْنِي،قَالَ حَاتِمٌ:مَتَى طَلَبَ هَذَا الرِّزْقَ فِي الْوَقْتِ أَمْ قَبْلَ الرِّزْقِ،قَالُوا:لَيْسَ يُفْهَمُ هَذَا يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ،قَالَ:إِنْ كَانَ هَذَا الْعَبْدُ طَلَبَ الرِّزْقَ مِنْ رَبِّهِ فِي وَقْتِ الْحَاجَةِ فَنِعْمَ وَإِلَّا فَأَنْتُمْ عِنْدَكُمْ حَرْثٌ وَدَرَاهِمُ فِي أَكْيَاسِكُمْ،وَطَعَامٌ فِي مَنَازِلِكُمْ،وَأَنْتُمْ تَقُولُونَ:اللهُمَّ ارْزُقْنَا قَدْ رَزَقَكُمُ اللهُ فَكُلُوا وَأَطْعِمُوا إِخْوَانَكُمْ حَتَّى قَالَهَا ثَلَاثًا فَسَلُوا اللهَ حَتَّى يُعْطِيَكُمْ،أَنْتَ عَسَى تَمُوتُ غَدًا وَتَخْلُفُ هَذَا عَلَى الْأَعْدَاءِ،وَأَنْتَ تَسْأَلُهُ أَنْ يَرْزُقَكَ زِيَادَةً،فَقَالَ عُلَمَاءُ أَهْلِ الْمَدِينَةِ:نَسْتَغْفِرُ اللهَ يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ إِنَّمَا أَرَدْنَا بِالْمَسْأَلَةِ تَعَنُّتًا "[35].

٦- وأنشد بعضهم:

يا واعظ النّاس قد أصبحت متّهما.إذ عبت منهم أمورا أنت تأتيها
أصبحت تنصحهم بالوعظ مجتهدا.فالموبقات لعمري أنت جانيها
تعيب دنيا وناسا راغبين لها ...وأنت أكثر منهم رغبة فيها[36]



[35] – حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٨/ ٨٠) وإحياء علوم الدين (١/ ٦٦)
الزرمانقات: جمع زرمانقة وهي لفظة عجمية معرّبة وهي الجبّة من الصوف.
[36] – إحياء علوم الدين (١/ ٦٣)

## المبحث الخامس

## أبحاث تحذر من القدوة السيئة

**القدوة السيئة خـــطر التـــأثير وسبل المواجهة:**

يعزو الكثير من الآباء والأمهات تراجع سلوك أولادهم إلى أقـــران السوء الذين يعاشروهم.فهل يتماهى،فعلاً،بعض الأولاد في سلوك أقراهم السيئة؟ ومن المسؤول عن هذا التأثير السلبي؟ الولد نفسه؟ أم قرين السوء؟ أم ذووه؟ أم المجتمع؟

*** أولاً:دور القدوة السيئة في توجيه الناس إلى المفاسد:**

الإنسان مخلوق اجتماعي،منفعل ببيئته،متأثر بها ومؤثر فيهـــا،ولا يستطيع أحد أن يدعي أنّه يمكنه العيش في مجتمع فاســـد أو بـــين أناس فاسدين من دون أن يتأثّر بهم بنحو من التـــأثّر.عَـــنْ أَبِـــي هُرَيْرَةَ،قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:" الْمَرْءُ عَلَى دِينِ خَلِيلِـــهِ فَلْيَنْظُـــرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ "[37]

فقد ورد في القرآن الكريم،على سبيل المثال،{وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّـــالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا * يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي

[37] – شعب الإيمان (١٢/ ٤٤)(٨٩٩٠ ) صحيح

خليله : الخليل : الصديق ، الخلة – بالضم – الصداقة.

لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا * لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنسَانِ خَذُولًا} (الفرقان:٢٧ – ٢٩).

وفي ذلك إشارة واضحة إلى أنَّ الانحراف الذي أصاب سلوك هذا الظالم تأتّى من مرافقته لخليل استطاع أن يضلَّه بالرغم من معرفته بكلام الله (الذكر) وبدعوة الرسول.وقد أكَّدت الدِّراسات التربويَّة الحديثة على خطورة النمذجة كعنصر مؤثِّر وفعَّال في تشكيل سلوك الأولاد والناشئة.

ونعني بالنمذجة تماهي بعض الأولاد في سلوك غيرهم من الأقران أو ممن يعتبرونهم في موقع الأسوة والقدوة كالآباء والعظماء والأبطال والمشاهير.

فالقرين يمكنه التأثير في قرينه،خاصة إذا كان بمثابة القدوة،ويكون ذلك عن طريق:

**١ – الإغواء الفكريِّ:**

يتأثَّر الإنسان عموماً بأفكار من يرافقه،كما مر في الحديث السابق،وللقرين،المقارب في العمر،تأثير مضاعف،يقول تعالى:{قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ * يَقُولُ أَئِنَّكَ لَمِنْ الْمُصَدِّقِينَ * أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَدِينُونَ * قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ * فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ} (الصافات:٥١-٥٥).

الإغواء الفكريِّ،بحسب ما يتَّضح من هذه الآية،يتمّ عبر التوجّه إلى العقول الضعيفة أو الجاهلة،بأدلة ظاهرها منطقي وواقعها مزيف.

**٢ – الإغواء النفسي والعاطفي:**

ثمَّة طريق آخر للإغواء وهو الإغواء عبر التأثير في العواطف،يقول تعالى:{وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاء فَزَيَّنُوا لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ} (فصلت:٢٥).

ويتمُّ ذلك،بتعبير الآية،عبر التزيين؛ والتزيين تجميل مصطنع،يعتمد على الإغواء النفسي والعاطفي،بإظهار الأمور على غير حقيقتها،بطريقة تميل إليها النفس وتهواها.

**٣ – الإغواء السلوكيّ:**

يتماهى الإنسان،من حيث يدري أو لا يدري،بسلوك من يعاشر،وويتعاظم الإغواء السلوكيِّ عندما يندمج الإنسان في جماعة،تمارس سلوكاً سيئاً.

ومن أظهر الأدلة على ذلك التماهي الضحك لمجرد رؤية مجموعة تضحك،وحتى من دون معرفة السبب؛ وكذلك البكاء أو الصراخ أو الهتاف...

لذا شدَّدت وصايا الصلحاء على عدم مصاحبة المنحرفين عن جادَّة الصواب.

*** ثانياً:عناصر الجذب في القدوة السيئة:**

قد يتساءل بعضنا عن كيفيَّة انجذاب بعض الشـباب إلى رفـاق السوء بالرغم من معرفتهم بانحرافهم؛ والجواب يكمن في عناصـر الجذب.

فقد أثبتت الدِّراسات أنَّ هناك عناصـر جـذب تضـع بعـض الأشخاص في موقع جذب للآخرين،فينقادون إلى تقليدهم طوعـاً أو كرهاً بحسب الموقف.

وأهم عناصر الجذب هذه ثلاثة:

**١ – الشهرة والنجوميَّة:**

فالناس عامَّة،والصغار والمراهقون خاصَّة،ينجذبون بشـكل غـير إرادي إلى من تُسَلَّط عليهم الأضواء ويحاولون تقليدهم في كـلِّ شيء حتى في طريقة اللبس ونوع الطعام وما شابه.

وتُستعمل حالياً هذا النوع من الجذب في الإعلانات عن السـلع لترويجهـا عـبر إظهـار بعـض المشـاهير يرتـدونها أو يستقلونها.....(بحسب السلعة).

**٢ – الاقتدار والسلطة:**

ينجذب الناس عموماً،والمراهقون منهم خصوصاً،إلى من هم في موقع السلطة أو الاقتدار المالي،وذلك لنيل رضاهم،إمَّا رغبة أو رهبة.يقول تعالى:{وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا} (الأحزاب:٦).

**٣ – الإيحاء بالمظلوميَّة:**

ثمَّة عنصر جذب آخر يجعل بعض الأبناء،والشباب منهم خاصة،يتأثَّرون ببعض رفاق السوء،وهو الإحساس بمظلوميَّتهم،ويقوى تأثير هؤلاء إذا كانوا من الذين لديهم ميول اجتماعية ويقدِّمون الخدمات للرفاق.

*** ثالثاً:أسباب وقوع الخطأ في تحديد القدوة:**

بالرغم من قدرة النفس البشريَّة على التمييز بين الخير والشر بحسب الخلقة،قال تعالى:{وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا} (الشمس:٧-٨).إلاَّ أنَّ الكثير من الناس معرّضون للوقوع في الخطأ في مجال تحديد القدوة.

ويعود ذلك لأسباب أهمها،في نظرنا،أربعة:

**١ – فساد أحد الوالدين أو كليهما:**

يتماهى الأولاد،خاصَّة في مرحلة الطفولة،في سلوك والديهم،حيث يعتبر كلُّ طفل أبويه هما نموذجه الأعلى.

ويتعاظم تأثير الأب في المراحل الأولى إذا كان- بالرغم من سلوكه المنحرف- عطوفاً وملبياً لطلبات أولاده؛ أمَّا إذا لم يكن كذلك،فيتماهى الأولاد في سلوك أمِّهم.

ولكن على مشارف مرحلة المراهقة،يعود الذكور منهم إلى تقليد أبيهم،خاصة إذا لم تكن الأم قد بنت لديهم منظومة عقائديَّة وقيميَّة متينة أو كانت غير قادرة على تلبية حاجاتهم الأساسية.

**٢ – الفراغ العاطفيّ والروحيّ:**

قد يكون الوالدان جيدين ولكنَّهما منشغلان وغير ملمّين بأصول التربية ومستلزماتها فينهمكان في تأمين حاجات أولادهما الماديَّة (مأكل – مشرب – ملبس – طبابة....) متناسيَين حاجاتهم الروحيّة والنفسيّة ما يجعل الأولاد يفتِّشون عن مصدر آخر للتفهم والتعاطف والتواصل؛ ولكنَّهم غالباً ما يخطئون الاختيار.

**٣ – اختلال منظومة القيم:**

إنَّ انفتاح المجتمعات التي تحمل ثقافات مختلفة بعضها مع بعض،من خلال الفضائيَّات وتكنولوجيا الاتِّصالات،وغياب المنظومة الفكريَّة المتينة التي تربط الأحكام الفقهية بأُسسها العقائديَّة والأخلاقيَّة لدى المؤمنين،أدّيا إلى اختلال كبير في منظومة القيم في المجتمعات الدينيَّة وغير الدينيَّة على حدٍ سواء.الأمر الذي جعل الكثير من الشباب

يخطئون في تحديد النموذج القـــدوة ويتعلَّقـــون بنمـــاذج غـــير صالحة،خاصة عندما تتوفَّر في هؤلاء عناصر الجذب،ولا تتـــوفَّر في غيرهم ممن يفترض فيهم أن يكونوا في موقع القدوة الحسنة كالآباء والمعلِّمين،مثل تلك العناصر.

**٤ – انخفاض القدرات العقليَّة:**

ثمَّة سبب إضافي لا بدَّ من الانتباه إليه وهـــو مســـتوى الـــذكاء العقلي.فقد دلَّت الدِّراسات على أنَّ ضعاف العقول ومنخفضـــي الذكاء معرَّضون أكثر من غيرهم للوقوع في أشراك رفاق الســـوء الذين بدورهم يحسنون استغلالهم.

ومن هنا تتأتَّى مسؤوليَّة الأهل بضرورة إحاطة هذا النـــوع مـــن الأولاد بعناية خاصة وبضرورة تزويدهم بالمهارات الحياتية اللازمة.

*** رابعاً:دور المجتمع في الحد من النمذجة السيئة:**

لا يستطيع أي مجتمع أن يقضي على نماذج القدوة السيئة ولكنَّـــه بالطبع عليه مسؤولية كبيرة في الحدِّ من اتِّساع دائـــرة النمذجـــة السيئة ومعالجتها.

كما وأنَّه من الصعب جداً حماية الوالدين لأولادهما مـــن رفـــاق السوء في ظلِّ مجتمع مستقيل من دوره الأخلاقيّ والتربويّ.

وأهمُّ ما يجب على المجتمع في هذا المجال:

١ – ترشيد الدور التربويّ للآباء والأمهات داخل الأسرة،بالشكل الذي يجعلهم حقاً قادرين علـــى التـــأثير الفكـــريّ والعـــاطفيّ والسلوكيّ في أولادهم أكثر من غيرهم،«وإنَّما قلـــب الحـــدث كالأرض الخالية ما ألقي فيها من شيء قبلته».

٢ – إدماج تعلّم القيم والسلوك في العمليَّة التعلميَّـــة في المـــدارس بالشكل الذي يضمن بناء منظومة قيميـــة متماســـكة وعـــادات أخلاقية سليمة،لدى الأولاد،قبل بلوغهم عمر المراهقة وفي أثنائها.

٣ – مراقبة الوسائل الإعلاميَّة والمواد الإعلانيَّة بالشكل الـــذي لا يسمح لها بتعميم السلوك السيئ والترويج له.

٤ – التواصي بالحق عبر تطبيق فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بشروطها وشرائطها،أي بالشكل الذي لا يؤدِّي إلى إشاعة الفاحشة مع الحرص على عدم تنفير النـــاس وتحميلـــهم مـــا لا يطيقون.

٥ – تكاتف المؤسسات والهيئـــات الأهليـــة لتحقيـــق التكافـــل الاجتماعي،فإنَّ الفقر والجهل والمرض من أهمِّ الأسباب التي تُشعر

الإنسان بالإحباط واليأس وتدفع به إلى الارتماء في أحضان رفـــاق السوء.[٣٨]

---

**خطورة القدوة السيئة:**

إن من أقبح المنكرات،وأرذل الأخلاق،أن يكون الشخص إمامـــاً في الشر،متبوعاً وداعياً وهادياً إلى غير ما يرضي الله -عز وجل-.

أما إذا كان هو الشرارة الأولى،وهو الذي بدأ بسن هذه الرذيلة أو السيئة،في وسطه،أو أهله،أو مكتبه،أو مجلســـه.فهـــذه ظلمـــات مركبة،وسنة سيئة،بل ويتحمل وزر من تبعه ويحمل مثل عمله.

عَنْ عُرْوَةَ،أَنَّ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا،قَالَتْ:قَـــالَ رَسُـــولُ اللَّـــهِ ﷺ:«رَأَيْتُ جَهَنَّمَ يَحْطِمُ بَعْضُـــهَا بَعْضًـــا،وَرَأَيْتُ عَمْـــرًا يَجُـــرُّ قُصْبَهُ،وَهْوَ أَوَّلُ مَنْ سَيَّبَ السَّوَائِبَ»[٣٩]

وعَنِ الزُّهْرِيِّ قَالَ:أَخْبَرَنِي عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُتْبَةَ،أَنَّ عَبْـــدَ اللَّهِ بْنَ عَبَّاسٍ أَخْبَرَهُ،أَنَّ أَبَا سُفْيَانَ بْنَ حَرْبٍ أَخْبَرَهُ:أَرْسَـــلَ إِلَيْـــهِ

---

٣٨ - http://www.baqiatollah.net/__print.php?filename= ٢٠١٠٠٦٠٢٠٨٣٤٤٩٠

٣٩ - صحيح البخاري (٦/ ٥٥) (٤٦٢٤)

[ ش (يحطم) يكسر. (قصبه) واحد الأقصاب وهي الأمعاء]

هِرَقْلُ مَلِكُ الرُّومِ،ثُمَّ دَعَا بِكِتَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الَّذِي أُرْسِلَ بِهِ مَعَ دِحْيَةَ الْكَلْبِيِّ إِلَى عَظِيمِ بُصْرَى،فَدَفَعَهُ إِلَيَّ هِرَقْلُ فَقَرَأَهُ،فَإِذَا فِيهِ:" بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ،مِنْ مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى هِرَقْلَ عَظِيمِ الرُّومِ،سَلَامٌ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى،أَمَّا بَعْدُ،فَإِنِّي أَدْعُوكَ بِدِعَايَةِ الْإِسْلَامِ،أَسْلِمْ تَسْلَمْ،يُؤْتِكَ اللَّهُ أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ،فَإِنْ تَوَلَّيْتَ فَإِنَّ عَلَيْكَ إِثْمَ الْأَرِيسِيِّينَ وَ {يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ} [آل عمران:٦٤] إِلَى قَوْلِهِ:{اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ} [آل عمران:٦٤] [٤٠].

هذا وغيره من النصوص،تبين هذه القصة وخطورة هذا المسلم،وإن يحرص الإنسان أن لا يتعلم الناس فيه أمراً سيئاً.

وكلما عظم مكانة الإنسان وشرفت،كان موقفه أصعب،وفضيحته أكبر،كأن يكون أباً في أسرة،أو رئيساً في دائرة،أو مديراً في مدرسة،أو أميراً في قبيلة،أو إماماً في مسجد،أو ما أشبه هذه التصورات،التي تجعل من الرجل يحاسب أكثر من غيره،ويتفقد نفسه أكثر من غيره؛ لأن خطأه ليس كغيره،وزلته وهفوته ليست كغيره.

[٤٠] - صحيح البخاري (١/ ٨) (٧ ) والأدب المفرد مخرجا (ص: ٣٧٩)(١١٠٩ )

كم هو عار وفضيحة،وإسقاط لهيبة الشخص وزوال لمكانته من قلوب متبوعيه،لو عُرف عنه،أنه سيء،أو مجرم،أو خائن،أو غاش أو كذاب،أو مزور،أو أية صفة ذميمة لا يرضاها الله ولا عباد الله في عامة الناس ناهيك عن شخص،يتصور مكانة،بين الناس ماذا يكون موقف الأب بين أولاده،لو عُرف عنه،وكشفت أوراقه،بأن له علاقات محرمة مع غير أمهم.مثلاً.

ماذا يكون موقف إمام الحي،لو علم المصلون خلفه أنه يتعاطى الربا،أو يُدخن،أو غيرها من سيئ الأخلاق،ومنكرات الأفعال.

ماذا يكون موقف رئيس دائرة أو مصلحة،لو علم موظفوه أنه يأكل حقوقهم،أو أنه يأخذ أضعاف راتبه الأصلي بطرق غير رسمية.ثم يؤخر رواتبهم بحجة أن المصلحة وضعها المادي ضعيف.هل يُتوقع أن هؤلاء الموظفين سيعملون بإخلاص،ويهمهم أمر هذه المصلحة أو الشركة لا أظن ذلك.

ماذا يكون موقف مدير مدرسة،لو اكتشف الطلاب أن مديرهم يعطي أسئلة الامتحانات لبعض أقربائه،أو جيرانه.

لا شك أن كل هذه مواقف محرجة،كان الشخص في غنىً عنها،لو حاسب نفسه وراقبها،وأخذها بخطام الشرع.

لكنه الهوى وضعف الدين،وضعف الخوف من رب العالمين.وهذه أمثلة فردية تعد بسيطة لتقريب الصورة ناهيك عن الخيانات الـتي تكون على مستوى وزارات أو مجتمعات أو دول.

إن الله -جل وتعالى- اصطفى واجـتبى هـذه الأمة،للإمامـة في الدين،والشهادة على الناس،والأمة من عندما نقول الأمة؟ الأمة أنا وأنت وأولادي وأولادك وأقربائي وأقربائك،لا نريد عندما نقـول الأمة،أن ينصرف الذهن إلى أناس غيرنا،فنحن أبناء وأفراد هـذه الأمة،ونحن المحاسبون والمسؤولون غداً أمام الله.

فالله -جل وعز-،اصطفانا وأكرمنا،قد نهانا وحذرنا في المقابل أن نتعاطى ما يجعلنا قادة للشر،أو للسـيئة،أو للمخالفـة أو حـتى المشاركة بأية مشاركة.

يقول الله تعالى في إمام الشر وتلاميذه:{ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَـدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْـحَابِ السَّـعِيرِ} [فاطر:٦].وقال -عز وجل-:{ وَلَقَدْ أَرْسَـلْنَا مُوسَـى بِآيَاتِنَـا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ (٩٦) إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ (٩٧) يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِـئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ (٩٨) وَأُتْبِعُوا فِي هَذِهِ لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ بِئْسَ الرِّفْدُ الْمَرْفُودُ (٩٩) } [هود]،وقال سبحانه:{وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ

مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِــنَ الْكَــاذِبِينَ (٣٨) وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ (٣٩) فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ (٤٠) وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَــوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنْصَرُونَ (٤١) وَأَتْبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ (٤٢)} [القصص:٣٨ - ٤٢].وقال -تبــارك وتعالى- فيما يؤول إليه أمر الاتباع في الشر والمتبوعين فيه:{وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّــذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ (١٦٥) إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ (١٦٦) وَقَــالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّــا كَــذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّــارِ (١٦٧) } [البقرة].

ويزداد الأمر سوءاً بانقلاب ذلك الموقف،حسرة ولعنة من التابعين في الشر والمعاونين فيه،للمتبوعين فيه حين لا ينفع متبوعاً في الشر أو تابعاً فيه نافع:{إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَــعِيرًا (٦٤)

خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا (٦٥) يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَا (٦٦) وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا (٦٧) رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا (٦٨)} [الأحزاب].

فاتقوا الله أيها المسلمون،اتقوا الله تعالى لا يكن أحدنا قدوة سيئة،في خلق أو فعل أو تصرف،وإذا كان مثل هذا الكلام يوجه لكل الناس،ولكل أفراد المجتمع،أياً كان موقع الشخص،وأياً كان وضعه.

فإنه يوجه وعلى الخصوص للدعاة إلى الله للآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر،لشباب الإسلام الذين يهمهم أمر الإسلام أكثر من غيرهم،والذين سخروا كل طاقاتهم،خدمة لهذا الدين،نقول لهم،يا دعاة الإسلام،يا من وُجدتم لتكونوا قادة في الخير،وهداة إليه،تتقدمون الناس وتتصدرونهم به في الدنيا،بكلمة أو موعظة أو نصيحة،وتشهدون به عليهم يوم يقوم الأشهاد.

اتقوا الله تعالى،وخافوه في أنفسكم،وفي متبوعيكم،فيما يؤول إليه الأمر في المحيا والممات.

إن الخطأ منكم ليس كغيركم،وإن الهفوة من أمثالكم،ليست كالهفوة من غيركم،إن أنظار الناس مسلطة على غيركم،إن أنظار

الناس مسلطة على المستقيم أكثر من غيره.وتتبعهم لسقطاته،أشد من غيره فاتقوا الله تعالى يا شباب الصحوة،فيما أُلبستم إياه من لباس التقوى،وحليتم به من حلة الدعوة،لا ترخصوه فترخصوا،لا تستبدلوا الذي هو أدنى بالذي هو خير،فتضلوا وتُضلوا لا تشتروا العاجل بالآجل،كونوا دعاة خير وهدى،أعواناً على البر والتقوى لا على الإثم والعدوان.

يا من هو على ثغرة من ثغور الإسلام،أياً كانت هذه الثغرة.سواء كان جهداً في مدرسة،أو نشاطاً في مسجد أو حتى جهد الرجل في بيته وبين أهله وأولاده،فالله الله،أن يؤتى الإسلام من هذه الثغرة والسبب هو أنت،بخلق رديء،أو تصرف غير سديد،فتأثم عند الله -عز وجل-،وتأخذ إثم من تبعك في ذلك:{وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ وَمَا هُمْ بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (١٢) وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيُسْأَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ (١٣)} [العنكبوت:١٢،١٣]،وقال تعالى:{وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ (٢٤) لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ (٢٥)} [النحل:٢٤،٢٥].

إن دين الإسـلام اعـتنى عنايـة شـديدة بتربيـة شخصـية المسلم،وإعدادها إعداداً يليق بمن هو أمين على تطبيق منهج الله في الأرض،وحقيق بجنة الفردوس الأعلى بجوار الله يوم القيامة.

إن دين الإسلام يدعو لالتقاء مظهر الإنسان بمخبره،ومن هنا كان هناك نهياً شديداً من مخالفة فعل المسلم لقوله.

فمهما تكن عند امرئ من خليقة ** وإن خالها تخفى على الناس تعلم

وكما قلنا في القدوة السيئة،بأنها لا تقبل من عامة الناس بشـكل عام،ومن من هم في الصدارة بشكل خاص،وخصوصاً المتصدرين لهداية الناس والدعوة إلى دين الله.فكذلك مخالفة الفعل للقول.

إنها صفة ذميمة لا تقبل من عامـة النـاس؛ لأنهـا مـن خلـق المنافقين،الذين يقولون ما لا يفعلون ويبطنون خلاف ما يظهـرون فكيف إذا صدرت من خواص الناس يقول تعالى عاتباً على علماء بني إسرائيل ومن شابههم في هذه الصفة من علماء هـذه الأمـة وقادتها:{أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَـكُمْ وَأَنـتُمْ تَتْلُـونَ الْكِتَابَ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ} [(٤٤) سورة البقرة].ويقول عن منـافقي هذه الأمة:{وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُواْ مِنْ عِندِكَ بَيَّتَ طَآئِفَةٌ مِّنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ} [(٨١) سورة النساء].

وقد حدث في تاريخ الإسلام إبان نزول القرآن أن تمنى رجال من المؤمنين فريضة الجهاد قبل أن تفرض،فلما نزل القرآن يأمر بالجهاد

تقاعس بعض المتمنين فأنزل الله توبيخاً لمن تقاعس،وهدياً وتشريعاً لمن..إلى يوم القيامة:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ (٢) كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ} [(٢-٣) سورة الصف].

إذا كان هذا العتاب وهذا الاستنكار لمن تمنى طاعة الله،فلما أمر بها نكل،فما بالكم بمن يقول للناس هذا منكر وهذا خطأ،وهذا لا يجوز،وهو يفعل ما ينهي الناس عنه:

لا تنه عن خلق وتأتي مثله *** عار عليك إذا فعلت عظيم

ابدأ بنفسك فانهها عن غيها *** فإن انتهت عنه فأنت حكيم

فهناك يقبل إن وعظت ويقتدي *** بالقول منك وينفع التعليم

إن جرم هذا الفعل العظيم وإن خطره لكبير لاسيما على الموجهين،والمربين،ومن هم في مراكز الصدارة والتوجيه،إذا كان مخالفة الفعل للقول،لا يقبل ولا يستساغ من أدنى الناس،فكيف بمن يريد أن يتأثر الناس بكلامه،فكيف بمن حمل مشعل النور والهداية،ويلاحظ متبوعه مخالفات في أقواله لأفعاله.

فاتقوا الله يا دعاة الإسلام إنها لفتنة عمياء،ولَفَتحُ نار تلظى،فقد ورد أن أشد الناس عذاباً يوم القيامة،عالم لم ينفعه علمه روي عَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ،قَالَ:قِيلَ لَهُ:أَلَا تَدْخُلُ عَلَى عُثْمَانَ فَتُكَلِّمَهُ؟

فَقَالَ:أَتَرَوْنَ أَنِّي لَا أُكَلِّمُهُ إِلَّا أُسْمِعُكُمْ؟ وَاللهِ لَقَدْ كَلَّمْتُهُ فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَهُ،مَا دُونَ أَنْ أَفْتَتِحَ أَمْرًا لَا أُحِبُّ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ فَتَحَهُ،وَلَا أَقُولُ لِأَحَدٍ،يَكُونُ عَلَيَّ أَمِيرًا:إِنَّهُ خَيْرُ النَّاسِ بَعْدَ مَا سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ:" يُؤْتَى بِالرَّجُلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ،فَيُلْقَى فِي النَّارِ،فَتَنْدَلِقُ أَقْتَابُ بَطْنِهِ،فَيَدُورُ بِهَا كَمَا يَدُورُ الْحِمَارُ بِالرَّحَى،فَيَجْتَمِعُ إِلَيْهِ أَهْلُ النَّارِ،فَيَقُولُونَ:يَا فُلَانُ مَا لَكَ؟ أَلَمْ تَكُنْ تَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ،وَتَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ؟ فَيَقُولُ:بَلَى،قَدْ كُنْتُ آمُرُ بِالْمَعْرُوفِ وَلَا آتِيهِ،وَأَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ وَآتِيهِ "[٤١].

وعَنْ أَنَسٍ،عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:" أَتَيْتُ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي عَلَى قَوْمٍ تُقْرَضُ شِفَاهُهُمْ بِمَقَارِيضَ مِنْ نَارٍ فَقُلْتُ:مَنْ هَؤُلَاءِ يَا جِبْرِيلُ؟،فَقَالَ:هَؤُلَاءِ خُطَبَاءُ أُمَّتِكَ الَّذِينَ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ،وَيَقْرَؤُونَ كِتَابَ اللهِ وَلَا يَعْمَلُونَ بِهِ "[٤٢].

---

[٤١] - صحيح مسلم (٤/ ٢٢٩٠) ٥١ - (٢٩٨٩)

[ ش (أترون أني لا أكلمه إلا أسمعكم) معناه أتظنون أني لا أكلمه إلا وأنتم تسمعون (ما دون أن أفتتح أمرا لا أحب أن أكون أول من فتحه) يعني المجاهرة بالإنكار على الأمراء في الملأ كما جرى لقتلة عثمان رضي الله عنه (فتندلق أقتاب بطنه) قال أبو عبيد الأقتاب الأمعاء قال الأصمعي واحدها قتبة وقال غيره قتب وقال ابن عيينة هي ما استدار في البطن وهي الحوايا والأمعاء وهي الأقصاب واحدها قصب والاندلاق خروج الشيء من مكانه]

[٤٢] - شعب الإيمان (٧/ ٣٩)(٤٦١٣ ) صحيح

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالك،قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:" مَرَرْتُ لَيْلَةَ أُسْـــرِيَ بِيَ عَلَى قَوْمٍ تُقْرَضُ شِفَاهُهُمْ بِمَقَارِيضَ مِنْ نارٍ فَقُلْتُ:مَنْ هَؤُلَاءِ؟ قَالَ:هَؤُلَاءِ قَوْمٌ خُطَبَاءُ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا كَانُوا يَأْمُرُونَ النَّاسَ،وَيَنْسَوْنَ أَنْفُسَهُمْ "[٤٣]

فاتقوا الله يا حملة رسالة الإسلام.اتقوا الله تعالى،وانهجوا في أمركم ونهيكم ودعوتكم وجميع شأنكم نهج رسل الله وأتباعهم بإحسان الذين كانوا يعلنون لأقوامهم بمثل قول الله تعالى:{وَمَا أُرِيـــدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الإِصْلاَحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ} [(٨٨) سورة هود].[٤٤]



[٤٣] - شعب الإيمان (٧/ ٣٩) (٤٦١٤ ) صحيح

[٤٤] - http://alahmad.com/node/١٨٧

## المبحث السادس

## بعض النماذج السيئة التي حذر منها القرآن

**النموذج الأول– فرعون مصر:**

قال تعالى:{ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ (٩٦) إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ (٩٧) يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ (٩٨) وَأُتْبِعُوا فِي هَذِهِ لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ بِئْسَ الرِّفْدُ الْمَرْفُودُ (٩٩) } [هود]

لَقَدْ أَرْسَلَ اللهُ تَعَالَى مُوسَى،عَلَيْهِ السَّلاَمُ،إِلَى فِرْعَوْنَ وَكِبَارَ رِجَالِ دَوْلَتِهِ ( مَلَئِهِ ) مِنَ القِبْطِ،فَكَفَرَ فِرْعَوْنَ بِمَا جَاءَهُ بِهِ مُوسَى،وَأَمَرَ قَوْمَهُ بِأَنْ يَتَّبِعُوهُ فِي الكُفْرِ،فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ،وَمَسْلَكَهُ وَطَرِيقَتَهُ فِي الغَيِّ وَالضَّلاَلِ،ولَمْ يَكُنْ مَسْلَكُ فِرْعَوْنَ مَهْدِياً رَشِيداً حَتَّى يُتَّبَعَ.( وَخَصَّ اللهُ تَعَالَى المَلأَ بِالذِّكْرِ،لأَنَّهُمُ الكُبَرَاءُ وَالعَامَّةُ تَبَعٌ لَهُمْ ) .

وَكَمَا كَانَ فِرْعَوْنُ مَلِكَ قَوْمِهِ وَقَائِدَهُمْ فِي الدُّنْيا،كَذَلِكَ يَتَقَدَّمُهُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ،وَبِئْسَ المَوْرِدُ الذِي يَرِدُونَهُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ لإِطْفَاءِ ظَمَئِهِمْ،وَهُوَ المَاءُ الحَمِيمُ .

وَلَحِقَتْ بِهِمْ فِي هذهِ الدُّنْيَا لَعْنَةٌ مِنَ اللهِ وَالمَلاَئِكَةِ،وَمِمَّنْ يَأْتِي بَعْدَهُمْ مِنَ الأُمَمِ،وَيَوْمَ القِيَامَةِ يَلْعَنُهُمْ أَهْلُ المَوْقِفِ جَمِيعاً فَتَكُونُ

اللعْنَةُ تَابعَةً لَهُمْ حَيْثُمَا سَارُوا،وَبِئْسَتْ هذه اللَّعَنَاتُ عَطَاءً وَرِفْداً يُعْطَوْنَهُ وَيَتْبَعُهُمْ فِي الدُّنيا وَالآخِرَة.( وَيَتَهَكَّمُ اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِمْ حِينَما يُسَمِّي هذه اللَّعَنَات رَفْداً وَعَطَاءً ) .[٤٥]

ولما كانوا تبعا لفرعون في هذا الأمر،يمشون خلفه،ويتبعون خطواته الضالة بلا تدبر ولا تفكر،ودون أن يكون لهم رأي،مستهينين بأنفسهم،متخلين عن تكريم الله لهم بالإرادة والعقل وحرية الاتجاه واختيار الطريق ..لما كانوا كذلك فإن السياق يقرر أن فرعون سيقدمهم يوم القيامة ويكونون له تبعا:«يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيامَةِ» .. وبينما نحن نسمع حكاية عن الماضي ووعدا عن المستقبل،إذا المشهد ينقلب،وإذا المستقبل ماض قد وقع،وإذا فرعون قد قاد قومه إلى النار وانتهى:«فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ»!!

أوردهم كما يورد الراعي قطيع الغنم.ألم يكونوا قطيعا يسير بدون تفكير؟ ألم يتنازلوا عن أخص خصائص الآدمية وهي حرية الإرادة والاختيار؟ فأوردهم النار.ويا بئساه من ورد لا يروي غلة،ولا يشفي صدى،إنما يشوي البطون والقلوب:«وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ! ».

[٤٥] - أيسر التفاسير لأسعد حومد (ص: ١٥٧١، بترقيم الشاملة آليا)

وإذا ذلك كله.قيادة فرعون لهم،وإيرادهم موردهم ..إذا ذلك كله حكاية تروى،ويعلق عليها:«وَأُتْبِعُوا فِي هذِهِ لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيامَــةِ» ..ويسخر منها ويتهكم عليها:«بِئْسَ الرِّفْدُ الْمَرْفُودُ» ..

فهذه النار هي الرفد والعطاء والمنة التي رفد بها فرعون قومه!!![46]

وقال تعالى:{وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَــهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَــاذِبِينَ (٣٨) وَاسْــتَكْبَرَ هُــوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُــونَ (٣٩) فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَانْظُرْ كَيْــفَ كَــانَ عَاقِبَــةُ الظَّالِمِينَ (٤٠) وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَــا يُنْصَرُونَ (٤١) وَأَتْبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ (٤٢)} [القصص:٣٨ - ٤٢]

كَانَ فِرعَوْنُ يَدَّعِي الأُلُوهِيَّةَ،وَقَدْ حَمَلَ قَومَهُ عَلَى عِبَادَةِ نَفْسِه،فَلَمَّا جَاءَهُ مُوسَى وَهَارُونُ يَدْعُوَانِه إلى عِبَادَةِ الله تَعَالى،وَيُحَذِّرَانِه عِقَابَهُ وَعَذَابَهُ إنِّ استَمَرَّ في كُفْرِه وطُغيانه،خَذَ في المَكَابَرَةِ والمُعَانَدَةِ،وَقَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ مِنْ كِبَارِ رِجَالِ دَولته:إِنَّهُ لاَ يَعرفُ لقومه إلهــاً غــيرَهُ هُوَ.وَقَالَ لِمُوسَى فِي آيةٍ أُخْرى:{ لَئِنِ اتخذت إلها غَيْرِي لأَجْعَلَنَّكَ

[46] - في ظلال القرآن للسيد قطب-ط١ - ت- علي بن نايف الشحود (ص: ٢٥٦٤)

منَ المسجونين } ثُمَّ أَمرَ وَزيرَهُ هَامَانَ بأنْ يُوقدَ النَّــارَ لِيَشْـــوِيَ الطِّينَ،وَيَجْعَلَ منْهُ آجُرّاً لِإشَادَة قَصْرٍ شَامخٍ لَهُ ( صَرْحاً )،يَصْــعَدُ إليه فِرْعَونُ لِيَرى إلهَ مُوسَى.ثُمَّ قَالَ إنَّهُ يَعْتَقِــد أَنَّ موسَـــى مِـــنَ الكَاذبينَ فيما يدِّعيه منْ أَنَّ له إلهاً في السَّمَاءِ يَنْصُرُهُ ويُؤَيِّدُهُ،وَهُوَ الذي أَرْسَلَهُ إليه.وَكَانَ فِرْعَونُ يَرْمِي منْ هذا القَوْلِ إلى تَخفيفِ أَثَرِ الآياتِ التي جَاءَ بها مُوسىَ وَهارُونَ،في نُفُوسِ رَعِيَّته .

وَطَغَى فِرْعَونُ وَمَلَؤُهُ وَجُنُودَهُ في أَرْضِ مِصْـــرَ،وَتَجَبَّروا،وَأَكْثَروا فيها الفَسَادَ،واعتَقَدُوا أَنَّهُ لا قِيَامَةَ وَلاَ حَشْرَ وَلاَ مَعَادَ،وَلاَ رَجْعَـــةَ إلى اللهِ،وَلا حِسَابَ لَهُمْ عَلى عَمَلِهم السَّيء،واعتقادهم الفَاسد .

فَجَمَعَ اللهُ تَعَالَى فِرْعَوْنَ وَجُنُودَهُ،وأَغْرَقَهُمْ في البَحْــرِ في صَـــبيحَة وَاحدَة،وَلَمْ يُبْقِ منْهُمْ أَحَداً.فانظُرْ أَيُّها المُعْتَبِرُ بالآيَاتِ كَيفَ كَـــانَ أَمرُ هؤلاءِ الذينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ،وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ،وَهذه هِيَ عَاقِبَـــةُ الكُفرِ والبَغْيِ والظُّلْمِ .

وَجَعَلَ اللهُ فِرْعَونَ وَقَوْمَهُ أَئمَّةً،يَقْتَدي بهِمْ أهــلُ العُتُــوِّ والكُفْــرِ والضَّلاَلِ،فَهُمْ يَبْحَثُونَ عَن الشُّرُورِ والمَعَاصي،التي تُلقي بصَـــاحبها في النَّارِ،وَكَذَلكَ جَعَلَ اللهُ تَعَالى مَصيرَ مَنْ يَتْبَعُهُمْ،وَيَقْتَدي بهِمْ في الكُفْرِ،وتَكْذيبِ الرُّسُل مثْل مَصيرِهِمْ في نَارِ جَهَنَّمَ،وَلا يَجِــدُونَ

أَحَداً يَنْصُرُهُمْ يومَ القِيَامَةِ مِنْ عَذَابِ اللهِ،فَيَجْتَمِعُ عَلَــيهِمْ خِــزْيُ الدُّنيا،مُتَّصلاً بذُلِّ الآخرَة .

وأَلْزَمَ اللهُ تَعَالَى فرْعَونَ وَقَومَهُ فِي هذه الدُّنيا خزْياً وَطَــرداً مِــنْ رَحْمَته ( لَعْنَةً )،ثُــمَّ قَضَــى عَلَــيْهِمْ بِــالبَوارِ والهَلاَك،وسُــوء الأُحْدُوثَة،وسَيُتْبعُهُمْ لَعنَةً أُخْرى يَومَ القِيَامَة،وَيُذِلُّهُم ويُخْزِيهِمْ خزْياً دَائماً مُسْتَمرّاً لا فكَاكَ لَهُمْ منْهُ .[٤٧]

يا أيها الملأ ما علمت لكم من إلــه غــيرى ..كلمــة فــاجرة كافرة،يتلقاها الملأ بالإقرار والتسليم.ويعتمد فيها فرعــون علــى الأساطير التي كانت سائدة في مصر من نسب الملوك للآلهة.ثم على القهر،الذي لا يدع لرأس أن يفكر،ولا للسان أن يعبر.وهم يرونه بشرا مثلهم يحيا ويموت،ولكنه يقول لهم هذه الكلمة فيســمعونها دون اعتــراض ولا تعقيــب! ثم يتظــاهر بالجــد في معرفــة الحقيقة،والبحث عن إله موسى،وهو يلهو ويسخر:«فَأَوْقدْ لِي يــا هامانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحاً لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلى إِلهِ مُوســى » ..في السماء كما يقول! وبلهجة التهكم ذاتها يتظاهر بأنه شاك في صدق موسى،ولكنه مع هذا الشك يبحث وينقــب ليصــل إلى الحقيقة:«وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكاذِبِينَ»!

---

[٤٧] - أيسر التفاسير لأسعد حومد (ص: ٣١٧٢، بترقيم الشاملة آليا)

وفي هذا الموضع كانت حلقة المباراة مع السحرة.وهي محذوفة هنا للتعجيل بالنهاية:«وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُــودُهُ فِــي الْــأَرْضِ بِغَيْــرِ الْحَقِّ،وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنا لا يُرْجَعُونَ» ..فلما توهموا عدم الرجعة إلى الله استكبروا في الأرض بغير الحق،وكذبوا بالآيات والنذر (الــتي جاء ذكرها في مطلع هذه الحلقــة،ووردت بالتفصــيل في ســور أخرى).«فَأَخَذْناهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْناهُمْ فِي الْيَمِّ».

هكذا في اختصار حاسم.أخذ شديد ونبذ في اليم.نبذ كما تحذف الحصاة أو كما يرمى بالحجر.اليم الذي ألقي في مثله موسى الطفل الرضيع،فكان مأمنا وملجأ.وهو ذاته الذي ينبذ فيه فرعون الجبــار وجنوده فإذا هو مخافة ومهلكة.فالأمن إنمــا يكــون في جنــاب الله،والمخافة إنما تكون في البعد عن ذلك الجناب.

«فَانْظُرْ كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ الظَّالِمِينَ» ..فهــي عاقبــة مشــهودة معروضة للعالمين.وفيها عبرة للمعتبرين،ونذير للمكذبين.وفيها يــد القدرة تعصف بالطغاة والمتجبرين في مثل لمح البصر،وفي أقل مــن نصف سطر! وفي لمحة أخرى يجتاز الحياة الدنيا ويقــف بفرعــون وجنوده في مشهد عجيب ..يــدعون إلى النــار،ويقودون إليهــا الأتباع والأنصار:«وَجَعَلْناهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ» ..فيا بئساها دعوة! ويا بئساها إمامة! «وَيَوْمَ الْقِيامَةِ لا يُنْصَرُونَ» ..فهي الهزيمة

في الدنيا،وهي الهزيمة في الآخرة،جزاء البغي والاستطالة.وليست الهزيمة وحدها،إنما هي اللعنة في هذه الأرض،والتقبيح في يوم القيامة:«وَأُتْبِعْناهُمْ فِي هذِهِ الدُّنْيا لَعْنَةً،وَيَوْمَ الْقِيامَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ».ولفظة «الْمَقْبُوحِينَ» ترسم بذاتها صورة القبح والفضيحة والتشنيع،وجو التفزز والاشمئزاز.ذلك في مقابل الاستعلاء والاستكبار في الأرض،وفتنة الناس بالمظهر والجاه،والتطاول على الله وعلى عباد الله.[٤٨]

وقال تعالى:{وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ (٥١) أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ (٥٢) فَلَوْلَا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ (٥٣) فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ (٥٤) فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ (٥٥) فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِلْآخِرِينَ (٥٦)} [الزخرف:٥١ - ٥٦]

جَمَعَ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَنَادَى فِيهِمْ مُتَبَجِّحاً مُتَفَاخِراً بِمُلْك مِصْرَ،وَتَصَرُّفِه فِيهَا،وَفِي أَنْهَارِهَا الجَارِيَةِ فِي أَرْضِهَا،ثُمَّ قَالَ لَهُمْ:أَفَلاَ تَرَوْنَ مَا أَنَا عَلَيْهِ مِنَ القُوَةِ وَعِظَمِ المَكَانَةِ؟

[٤٨] - في ظلال القرآن للسيد قطب-ط١ - ت- علي بن نايف الشحود (ص: ٣٤٤٢)

وَكَانَ فِرْعَوْنُ يَقْصدُ بِهَذَا النِّدَاءِ تَثْبِيتَهُمْ فِي طَاعَته،وَصَرْفَهُم عَـــنِ التَّأَثُّرِ بِمُوسَى وَمَا جَاءَ به مِنَ الآيَات .

وَقَالَ فِرْعَوْنُ لقَوْمه،بَلْ إِنَّهُ ( أم ) خَيْرٌ مِنْ مُوسَـــى الـــذِي هُـــوَ ضَعِيفٌ ذَلِيلٌ ( مَهِينٌ )،وَهُوَ عَيِيٌّ اللِّسَانِ يَكَادُ لاَ يَسْتَطِيعُ التَّعْـــبِيرَ والإِفْصَاحَ عَمَّا يُرِيدُ قَوْلَهُ .

فَهَلاَّ أَلْقَى إِلَيْهِ رَبُّهُ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ يَتَحَلَّى بِهَا إِنْ كَانَ صَادِقاً فِيمَا يَدَّعِيه،وَهَلاَّ جَاءَ مَعَهُ المَلاَئِكَةُ مُتَتَـــابِعِينَ مَتَقَـــارِنِينَ ( مُقْتَـــرِنِينَ ).يُعِينُونَهُ عَلَى أَمْرِه،وَيَشْهَدُونَ بِالنُّبُوَّة،وَيَمْشُونَ مَعَهُ .

فَاسْتَخَفَّ فِرَعَوْنُ عُقُولَ قَوْمه بِهَذه الحُجَجِ الوَاهِية،وَدَعَاهُمْ إِلَـــى الضَّلاَلَة فَاسْتَجَابُوا لَـــه طَـــائِعِينَ،لأَنَّهُمْ كَـــانُوا قَوْمـــاً غَـــاوِينَ ضَالِّينَ،خَارِجِينَ عَنْ طَاعَة الله تَعَالَى .

فَلَمَّا أَغْضَبُونَا بِعِنَادِهِمْ وَاسْتِكْبَارِهِمْ وَبَغْيِهِمْ فِي الأَرْضِ انْتَقَمْنَـــا مِنْهُمْ فَعَجَّلَنَا لَهُم العُقُوبَةَ،وَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ .

فَجَعَلْنَاهُمْ قُدْوَةً لِمَنْ يَعْمَلُ عَمَلَهُمْ مِنْ أَهْلِ الكُفْرِ والضَّلاَلَة،وَعِبْرَةً وَمَوْعِظَةً لِمَنْ يَأْتِي بَعْدَهُمْ مِنَ الكَافِرِينَ .[٤٩]

إن ملك مصر وهذه الأنهار التي تجري من تحت فرعون،أمر قريب مشهود للجماهير،يبهرها وتستخفها الإشارة إليـــه.فأمـــا ملـــك

[٤٩] – أيسر التفاسير لأسعد حومد (ص: ٤٢٥٥، بترقيم الشاملة آليا)

السماوات والأرض وما بينهما – ومصر لا تساوي هباءة فيه – فهو أمر يحتاج إلى قلوب مؤمنة تحسه،وتعقد الموازنة بينه وبين ملك مصر الصغير الزهيد! والجماهير المستعبدة المستغفلة يغريها البريق الخادع القريب من عيونها ولا تسمو قلوبها ولا عقولها إلى تدبر ذلك الملك الكوني العريض البعيد! ومن ثم عرف فرعون كيف يلعب بأوتار هذه القلوب ويستغفلها بالبريق القريب! «أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلا يَكادُ يُبِينُ؟ ».وهو يعني بالمهانة أن موسى ليس ملكا ولا أميرا ولا صاحب سطوة ومال مشهود.أم لعله يشير بهذا إلى أنه من ذلك الشعب المستعبد المهين.شعب إسرائيل.أما قوله:«وَلا يَكادُ يُبِينُ» فهو استغلال لما كان معروفا عن موسى قبل خروجه من مصر من حبسة اللسان.وإلا فقد استجاب الله سؤاله حين دعاه:«رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسانِي يَفْقَهُوا قَوْلِي» ..وحلت عقدة لسانه فعلا،وعاد يبين.

وعند الجماهير الساذجة الغافلة لا بد أن يكون فرعون الذي له ملك مصر وهذه الأنهار تجري من تحته،خيرا من موسى – عليه السّلام – ومعه كلمة الحق ومقام النبوة ودعوة النجاة من العذاب الأليم! «فَلَوْلا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِنْ ذَهَبٍ؟ » ..هكذا.من ذلك

العرض التافه الرخيص! أسورة من ذهب تصدق رسالة رســـول! أسورة من ذهب تساوي أكثر من الآيات المعجزة التي أيد الله بهـــا رسوله الكريم! أم لعله كان يقصد من إلقاء أسورة الذهب تتويجه بالملك،إذ كانت هذه عادتهم،فيكون الرسول ذا ملك وذا سلطان؟ «أَوْ جاءَ مَعَهُ الْمَلائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ» ..وهو اعتراض آخر لـــه بريـــق خادع كذلك من جانب آخر،تؤخذ بـــه الجمـــاهير،وترى أنـــه اعتراض وجيه! وهو اعتراض مكرور،ووجه به أكثر من رســـول! «فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطاعُوهُ،إِنَّهُمْ كانُوا قَوْماً فاسِقِينَ» ..واستخفاف الطغاة للجماهير أمر لا غرابة فيه فهم يعزلون الجماهير أولا عـــن كل سبل المعرفة،ويحجبون عنهم الحقائق حتى ينسوها،ولا يعودوا يبحثون عنها ويلقون في روعهم ما يشاءون من المـــؤثرات حـــتى تنطبع نفوسهم بهذه المؤثرات المصطنعة.ومن ثم يسهل استخفافهم بعد ذلك،ويلين قيادهم،فيذهبون بهم ذات اليمين وذات الشـــمال مطمئنين! ولا يملك الطاغية أن يفعل بالجماهير هذه الفعلة إلا وهم فاسقون لا يستقيمون على طريق،ولا يمسكون بحبل الله،ولا يزنون بميزان الإيمان.فأما المؤمنون فيصعب خداعهم واستخفافهم واللعب بهم كالريشة في مهب الريح.ومن هنا يعلـــل القـــرآن اســـتجابة الجماهير لفرعون فيقول:«فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطاعُوهُ.إِنَّهُمْ كانُوا قَوْماً

فاسقِينَ» ..ثم انتهت مرحلة الابتلاء والإنذار والتبصير وعلم الله أن القوم لا يؤمنون وعمت الفتنة فأطاعت الجماهير فرعون الطاغية المتباهي في خيلاء،وعشت عن الآيات البينات والنور فحقت كلمة الله وتحقق النذير:«فَلَمَّا آسَفُونا انْتَقَمْنا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْناهُمْ أَجْمَعِينَ،فَجَعَلْناهُمْ سَلَفاً وَمَثَلًا لِلْآخِرِينَ» ..

يتحدث الله سبحانه عن نفسه في مقام الانتقام والتدمير إظهارا لغضبه ولجبروته في هذا المقام.فيقول:«فَلَمَّا آسَفُونا» ..أي أغضبونا أشد الغضب ..«انْتَقَمْنا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْناهُمْ أَجْمَعِينَ» ..يعني فرعون وملأه وجنده.وهم الذين غرقوا على إثر موسى وقومه وجعلهم الله سلفا يتبعه كل خلف ظالم «وَمَثَلًا لِلْآخِرِينَ» الذين يجيئون بعدهم،ويعرفون قصتهم،فيعتبرون.[٥٠]

---

**الثاني – قارون:**

قال تعالى:{ إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ (٧٦) وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ

[٥٠] – في ظلال القرآن للسيد قطب–ط١ – ت– علي بن نايف الشحود (ص: ٤٠٠٢)

وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ (٧٧) قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ (٧٨) فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ (٧٩) وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ (٨٠) فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنْتَصِرِينَ (٨١) وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيْكَأَنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ (٨٢) تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ (٨٣)} [القصص]

يَلْفِتُ اللهُ تَعَالى نَظَرَ كُبَراءِ قُرِيشٍ،الذين اغتَرُّوا بأَمَوالِهِم،واستَطَالُوا بِهَا عَلَى الرَّسُولِ صلى الله عليه وسلم،وَعَلَى المُؤمنينَ،إلى أنَّ المَالَ عَرَضٌ زَائِلٌ،وَأَنَّ المَالَ لاَ قِيمَةَ لهُ فِي مِيزَانِ اللهِ تَعَالى،يَوْمَ الحِسَابِ فِي الآخِرَةِ،وأَنَّ أمْوالَ هؤلاءِ الكُفَّارِ مِنْ قُرِيشٍ،لا تُعَدُّ شيئاً مذكُوراً بالنِّسبةِ لِلمَالِ الذي آتاهُ اللهُ قَارُونَ،ثُمَّ خَسَفَ اللهُ بِهِ وبِدَارِهِ

الأَرْضَ لأَنَّهُ بَطِرَ وَأَشِرَ،واسْتَكْبَرَ و لم يَبْتَـــغِ بهـــذا المَـــالِ ثَـــوابَ اللهِ،وجَزَاءَهُ في الدَّارِ الآخِرَةِ .

وَيَقُولُ تَعَالى إنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ بَني إِســـرائيلَ ( وَقَـــالَ بعـــضُ المُفَسِّرينَ إِنَّهُ كَانَ مِنْ أقرباءِ مُوسَى عَليه السَّلامُ )،وَقَـــدْ آتـــاهُ اللهُ كثيراً منَ المَالِ،حَتَّى إنَّ مَفَاتِيحَ خَزَائِنِ أمْوَالِه لَيَصْعُبُ عَلَى الجَمَاعَةِ حَمْلُها لِكَثْرَتِهَا،وَثِقلِ وَزْنِها،فَطَغَى وَبَغَى،وَبَطِرَ،وَتَكَّبرَ،فَقَالَ لــهُ قَومُهُ ناصِحِينَ:لا تَبْطَرْ،ولا تَفْرَحْ بِمَا أَنتَ فيه من النِّعمَةِ والمَالِ،لأَنَّ اللهَ تَعَالى لاَ يُحبُّ البَطِرينَ الأَشِرِينَ،الذين لا يَشكُرُونَ اللهَ عَلَـــى نعَمِه وآلائه،وَتَنْسيهِمُ الدُّنيا والآخِرَةَ .

واسْتَعْمِلْ مَا وَهَبَكَ اللهُ مِنَ المَالِ الجَزيلِ،والنِّعمَةِ الطَّائلَةِ،في طَاعَةِ رَبِّكَ،والتَّقَرُّبِ إليه،ولا تَنْسَ حَظَّكَ ( نَصيبَكَ ) مِنَ الدُّنيا،مِمَّا أَبَاحَهُ اللهُ فيها لعباده،مِنَ المَآكلِ والمَشَارِبِ والمَلابسِ وغَيرها..فإنَّ لِرَبِّكَ عَلَيكَ حَقّاً،وَلِنَفَسكَ عَليـــكَ حَقّـــاً،..فَـــآتِ كُـــلِّ ذي حـــقٍّ حَقَّهُ.وأحْسنْ إلى خَلْقِ اللهِ كَما أَحْسَنَ اللهُ إِلَيْكَ ولا يَكنْ هَمُّـــكَ الإفسَادَ في الأَرضِ،والإِساءَةَ إلى خَلْقِ اللهِ،إنّ اللهَ لاَ يُحبُّ المُفْسدينَ .

فَأَجَابَ قَارُونَ نَاصحيه مِنْ قَومه:إنَّهُ لا يَفْتَقرُ إلى مَا يَقُولُونَ،فـــإنَّ اللهَ إنَّما أعطَاهُ هذا المَالَ لعلمه بِأَنَّهُ يَسْتَحقُّهُ،وَلأَنَّهُ يُحبّهُ.ويَـــرُدّ اللهُ تَعَالى عَليهِ قائلاً:إنَّهُ كَانَ قَبلَ قَارُونَ أُناسٌ كـــثيرونَ أكثـــرُ منـــهُ

مالاً،إلاَّ أنهُ سُبحَانَهُ لَمْ يُعْطِهِمْ هذا المَالَ عَنْ مَحَبَّةٍ منـــهُ لَهُمْ،وَقَـــدْ أَهْلَكَهُمْ بكُفْرِهِمْ،وَعَدمِ شُكرِهِمْ،وفي الآخرَة لا يَسْأَلُ اللهُ تَعَـــالى المُجرِمينَ عَنْ ذُنُوبهِمْ،ومقْدَارِهَا وَكُنْهِها..وَلاَ يُعَاتِبُهُمْ عَلَيها،وإنَّما يُلْقيهِمْ في جَهَنَّم دُونَ سُؤَالٍ .

وَخرَجَ قَارُونَ ذَاتَ يومٍ عَلَى قَومِهِ،وَهُوَ في زِينَةٍ عَظيمَـــةٍ،وتَجَمُّلٍ بَاهِرٍ،فلما رَآه مَنْ يُريدُ الحَيَاةَ الدُّنيا،وَيَميلُ إلى زُخْرُفِها وزينَتِها مِنْ قَومِهِ،تَمنُّوا أَنْ لَوْ كَانُوا يُعطَوْنَ مِثْلِ ما أُعْطِيَ قَارُونُ مِنَ المَالِ،فهوَ ذُو حَظٍّ عظيمٍ وافرٍ في الدُّنيا .

فَلَمَّا سَمِعَ أهلُ العِلْمِ النَّافعِ مَقَالَةَ مَنْ تَمَنَّوا أَنْ يكُونَ لَهُمْ مثلُ مَا أُوتِيَ قَارُونُ من المَالِ،قَالُوا لَهُمْ:الوَيلُ والهَلاَكُ لَكُـــمْ عَلَـــى مـــا تَمَنَّيتُمْ،فَما يدَّخِرُهُ اللهُ مِنْ جَزاءٍ وثَوَابٍ لعِبَادِهِ الصَّالحينَ في الـــدَّارِ الآخِرَةِ خيرٌ ممَّا تَرَوْنَهُ،ولا يَفُوزُ بالجَنَّةِ ونَعيمها في الدَّارِ الآخِرَةِ إلا الصَّابرُونَ على مَحَبَّتِه،الرَاغبونَ في الدَّار الآخرَة .

وَبينمَا كَانَ قَارُونَ يَخْتَالُ بطِراً مُتَفَاخراً عَلَى قَومِهِ،وَهُوَ في حلْيَتِهِ وزينَتِه،إذْ خَسَفَ اللهُ به وبِدَارِهِ الأَرضَ،فَأَصبَحَ هُوَ ودارُهُ وأموَالُـــهُ وخزَائِنُهُ لا أثرَ لَهُمْ،وَلَمْ يَجِدْ مَنْ يَنْصُرُهُ مِنْ بَطْشِ اللهِ وَعَذَابِه،وَلَمْ يُغْنِ عَنْهُ مَالُهُ ولا جَمْعُهُ وَلا خَدَمُهُ،وَلَمْ يَدْفَعْ كُلُّ ذَلِكَ عَنْهُ نَقْمَـــةَ اللهِ وَعَذَابَهُ .

وَلَمَّا رَأَى الذينَ تَمَنَّوْا مَـــالَ قَـــارُونَ وكُنُوزَهُ،مَـــا حَـــلَّ بـــهِ وبمَاله،قالُوا:أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللهَ يَبْسُطُ الرزْقَ لمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ؟ وَلولا لُطْفُ الله بنا لأَعْطَانَا مَـــا سَـــأَلنا،ثُمَّ فَعَـــلَ بنَـــا كَمَـــا فَعَـــلَ بقَارُونَ،فَخَسَفَ بنَا الأَرضَ،لَقَدْ كَانَ قَارُونُ كَافِراً برَبِّهِ،وَلاَ يُفْلِـــحُ الكَافِرُونَ في النَّجَاةِ منْ عَذابِ الله تَعَالى .

تلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ – الجَنَّةُ التي عَلمْتَ ممَّا تَقدَّمَ وَصْفَهَا – قَـــدْ جَعَلَها الله خَالصَةً لعبَاده المُؤمنينَ المُتَواضِـــعينَ،الذينَ لاَ يُريـــدُونَ اسْتكْبَاراً على خَلْقِ اللهِ،وَلاَ تَعَاظُماً عَلَيهِمْ،وَلاَ جَبَّراً،وَلاَ فَسَاداً في الأَرضِ.وَالعَاقِبَةُ المَحْمُودَةُ،وهيَ الجَنَّةُ،جَعَلَها اللهُ لمَنْ مَلأَتْ خَشْيَةُ الله قَلْبَهُ،واتَّقى عَذَابَه بِفعلِ الطَّاعَاتِ،وَتَرْكِ المُحَرَّمَاتِ .[٥١]

حين يخرج قارون بزينته على قومـــه،فتطير لهـــا قلـــوب فريـــق منهم،وتتهاوى لها نفوسهم،ويتمنون لأنفســـهم مثـــل مـــا أوتي قارون،ويحسون أنه أوتي حظا عظيما يتشهاه المحرومون.ذلك على حين يستيقظ الإيمان في قلوب فريق منهم فيعتزون به علـــى فتنـــة المال وزينة قارون،ويذكرون إخوانهم المبهورين المأخوذين،في ثقـــة وفي يقين:«فَخَرَجَ عَلى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيـــاةَ الدُّنْيا:يا لَيْتَ لَنا مِثْلَ ما أُوتِيَ قارُونُ.إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِـــيمٍ.وَقـــالَ

---

[٥١] – أيسر التفاسير لأسعد حومد (ص: ٣٢١٠، بترقيم الشاملة آليا)

الَّذينَ أُوتُوا الْعِلْمَ:وَيْلَكُمْ! ثَوابُ اللَّهِ خَيْـــرٌ لِمَـــنْ آمَـــنَ وَعَمِـــلَ صالِحاً،وَلا يُلَقَّاها إِلَّا الصَّابِرُونَ».

وهكذا وقفت طائفة منهم أمام فتنة الحياة الدنيا وقفـــة المـــأخوذ المبهور المتهاوي المتهافت،ووقفت طائفة أخرى تستعلي على هذا كله بقيمة الإيمان،والرجاء فيمـــا عنـــد الله،والاعتـــزاز بثـــواب الله.والتقت قيمة المال وقيمة الإيمان في الميزان:«قالَ الَّذينَ يُريدُونَ الْحَياةَ الدُّنْيا:يا لَيْتَ لَنا مِثْلَ ما أُوتِيَ قارُونُ.إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ».

وفي كل زمان ومكان تستهوي زينة الأرض بعض القلوب،وتبهر الذين يريدون الحياة الدنيا،ولا يتطلعون إلى ما هو أعلى وأكـــرم منها فلا يسألون بأي ثمن اشترى صاحب الزينة زينته؟ ولا بـــأي الوسائل نال ما نال من عرض الحياة؟ مـــن مـــال أو منصـــب أو جاه.ومن ثم تتهافت نفوسهم وتتهاوى،كما يتهافت الذباب على الحلوى ويتهاوى! ويسيل لعابهم على ما في أيدي المحظوظين مـــن متاع،غير ناظرين إلى الثمن الباهظ الـــذي أدوه،ولا إلى الطريـــق الدنس الذي خاضوه،ولا إلى الوسيلة الخسيسة التي اتخذوها.

فأما المتصلون بالله فلهم ميزان آخر يقيم الحياة،وفي نفوسهم قـــيم أخرى غير قيم المال والزينة والمتاع.وهم أعلى نفسا،وأكبر قلبا من أن يتهاووا ويتصاغروا أمام قيم الأرض جميعا.ولهم من استعلائهم

بالله عاصم من التخاذل أمام جاه العباد.وهؤلاء هم «الَّذِينَ أُوتُـوا الْعِلْمَ».العلم الصحيح الذي يقومون به الحياة حق التقويم:«وَقـالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ:وَيْلَكُمْ ثَوابُ اللَّهِ خَيْـرٌ لِمَـنْ آمَـنَ وَعَمِـلَ صالِحاً،وَلا يُلَقَّاها إِلَّا الصَّابِرُونَ».ثواب الله خير من هذه الزينة،وما عند الله خير مما عند قارون.والشعور على هذا النحو درجة رفيعة لا يلقاها إلى الصـابرون ..الصـابرون علـى معـايير النـاس ومقاييسهم.الصابرون على فتنة الحياة وإغرائها.الصـابرون علـى الحرمان مما يتشهاه الكثيرون.وعندما يعلم الله منهم الصبر كـذلك يرفعهم إلى تلك الدرجة.درجة الاسـتعلاء علـى كـل مـا في الأرض،والتطلع إلى ثواب الله في رضى وثقة واطمئنان.[٥٢]

---

**الثالث– اتخاذ الأنداد من دون الله تعالى:**

{وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّـهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ (١٦٥) إِذْ تَبَرَّأَ الَّـذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَـتْ بِهِـمُ الْأَسْـبَابُ (١٦٦) وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَـرَّءُوا

---

[٥٢] – في ظلال القرآن للسيد قطب–ط١ – ت– علي بن نايف الشحود (ص: ٣٤٦٢)

مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ (١٦٧) } [البقرة]

وَمَعَ قِيَامِ الأَدلَّةِ عَلَى قُدْرَةِ اللهِ وَوَحْدَانِيَّتِهِ وَعَظَمَتِهِ فَإِنَّ بَعْضَ النَّاسِ مِنَ الكُفَّارِ يَتَّخذُونَ للهِ شُرَكَاءَ وَأَمْثَالاً ( أَنْدَاداً ) يَعْبُدُونَهُمْ مَعَهُ،وَيُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّهِ،وَهُوَ اللهُ الذي لاَ مَثِيلَ لَهُ،وَلاَ شَرِيكَ مَعَهُ.أَمَّا الذينَ آمَنُوا فَإِنَّهُم يَعْبُدُونَ اللهُ وَحْدَهُ،مُخْلصِينَ لَهُ الدِّينَ،وَيُحِبُّونَهُ وَحْدَهُ،وَهُمْ أَشَدُّ حُبَاً للهِ مِنْ أَيِّ شَيءٍ آخَرَ.وَحِينَ يَرَى الْمُشْرِكُونَ العَذَابَ الشَّدِيدَ الذي يُنْزِلُهُ اللهُ تَعَالَى يَوْمَ القِيَامَةِ بِالكُفَّارِ،فَتَتَقَطَّعُ بِهِمُ الأَسْبَابُ،وَلاَ تُغْنِي عَنْهُم الأَنْدَادُ،يُدْرِكُونَ حِينَئِذٍ أنَّ القُوَّةَ جَمِيعَهَا للهِ،وَأَنَّ الحُكْمَ لَهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ .

وَيَوْمَ القِيَامَةِ يَتَبَرَّأُ الذينَ كَانَ الْمُشْرِكُونَ يَعْبُدُونَهُمْ مِنْ دُونَ اللهِ - المَلائِكَةُ وَالجِنُّ وَالبَشَرُ - كَمَا يَتَبَرَّأُ الرُّؤَسَاءُ الْمُضِلُّونَ الذينَ اتَّبَعَهُمُ الضُّعَفَاءُ وَالأَعْوَانُ،مِنْ أَتْبَاعِهِم الذينَ أَغْوَوْهُمْ فِي الحَيَاةِ الدُّنيا،وَيَتَنَصَّلُونَ مِنْ إِضْلاَلِهِمْ لأَنَّهُمْ قَدْ تَضَاعَفَ عَذَابُهُمْ،وَحَمْلُهُمْ أَوْزَاراً فَوْقَ أَوْزَارِهِمْ،وَتَتَقَطَّعُ الرَّوَابِطُ وَالصِّلاَتُ التي كَانَتْ بَيْنَهُمْ فِي الحَيَاةِ الدُّنيا،وَيَصِيرُ بَعْضُهُم عَدُوّاً لِبَعْضٍ .

وَيَقُولُ التَّابِعُونَ بَعْدَ أَنْ رَأَوْا أَنَّهُمْ كَانُوا فِي ضَلاَلٍ:لَوْ أَنَّ لَنَا رَجْعَةً إِلَى الدَّارِ الدُّنيا لِنَتَبَرَأَ مِنْ هؤُلاءِ،وَمِنْ عِبَادَتِهِمْ،فَلاَ نَلْتَفِتَ إِلَيهِمْ،بَلْ

نُوَحِّدُ اللهَ،وَنَهْتَدي بِهَدْيِهِ.وَهُمْ كَاذِبُونَ فِي هذا القَوْلِ،إِذْ أَنَّهُمْ لوْ عَادُوا إلى الدُّنيا لَعَادُوا إِلى مَــا نُهُــوا عَنْــهُ.وَكَمَــا أَرَاهُــمُ اللهُ العَذَابَ،كَذلكَ سَيُرِيهِمْ أَعْمَالَهُمْ تَذْهَبُ وَتَضْمَحِلُّ فَيَتَحَسَّــرُونَ عَلَى مَا فَرَّطُوا فِي جَنْبِ اللهِ،وَلاتَ سَاعَةَ مَنْدَمٍ،لأَنَّهُمْ لَنْ يَخْرُجُوا مِنَ النَّارِ،وَلَنْ يَعُودُوا إلى الدُّنيا .[٥٣]

إن من الناس من يتخذ من دون الله أندادا ..كانوا علـــى عهـــد المخاطبين بهذا القرآن أحجارا وأشجارا،أو نجومـــا وكواكـــب،أو ملائكة وشياطين ..وهم في كل عهد من عهود الجاهلية أشياء أو أشخاص أو شارات أو اعتبار ات ..وكلـــها شـــرك خفـــي أو ظاهر،إذا ذكرت إلى جانب اسم الله،وإذا أشركها المرء في قلبه مع حب الله.فكيف إذا نزع حب الله من قلبه وأفرد هـــذه الأنـــداد بالحب الذي لا يكون إلا لله؟

إن المؤمنين لا يحبون شيئا حبهم لله.لا أنفســـهم ولا ســـواهم.لا أشخاصا ولا اعتبار ات ولا شارات ولا قيما من قيم هذه الأرض التي يجري وراءها الناس:«وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ» ..أشد حبـــا لله،حبا مطلقا من كل موازنة،ومن كل قيد.أشد حبا لله من كـــل حب يتجهون به إلى سواه.

---

[٥٣] – أيسر التفاسير لأسعد حومد (ص: ١٧٢، بترقيم الشاملة آليا)

والتعبير هنا بالحب تعبير جميل،فوق أنه تعبير صادق.فالصلة بين المؤمن الحق وبين الله هي صلة الحب.

صلة الوشيجة القلبية،والتجاذب الروحي.صلة المودة والقربى.صلة الوجدان المشدود بعاطفة الحب المشرق الودود.

«وَلَوْ يَرَى الَّذينَ ظَلَمُوا – إِذْ يَرَوْنَ الْعَذابَ – أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَميعاً،وَأَنَّ اللَّهَ شَديدُ الْعَذاب.إِذْ تَبَرَّأَ الَّذينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذينَ اتَّبَعُوا،وَرَأَوُا الْعَذابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبابُ.وَقالَ الَّذينَ اتَّبَعُوا:لَوْ أَنَّ لَنا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَما تَبَرَّؤُا مِنَّا! كَذلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمالَهُمْ حَسَراتٍ عَلَيْهِمْ،وَما هُمْ بِخارِجِينَ مِنَ النَّارِ» ..

أولئك الذين اتخذوا من دون الله أندادا.فظلموا الحق،وظلموا أنفسهم ..لو مدوا بأبصارهم إلى يوم يقفون بين يدي الله الواحد! لو تطلعوا ببصائرهم إلى يوم يرون العذاب الذي ينتظر الظالمين! لو يرون لرأوا «أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَميعاً» فلا شركاء ولا أنداد ..«وَأَنَّ اللَّهَ شَديدُ الْعَذابِ».

لو يرون إذ تبرأ المتبوعون من التابعين.ورأوا العذاب.فتقطعت بينهم الأواصر والعلاقات والأسباب،وانشغل كل بنفسه تابعا كان أم متبوعا.وسقطت الرياسات والقيادات التي كان المخدوعون يتبعونها،وعجزت عن وقاية أنفسها فضلا على وقاية

تابعيها.وظهرت حقيقة الألوهية الواحدة والقدرة الواحدة،وكذب القيادات الضالة وضعفها وعجزها أمام الله وأمام العذاب.

«وَقالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَما تَبَـرَّؤُا مِنَّـا» ..وتبدى الحنق والغيظ من التـابعين المخـدوعين في القيـادات الضالة.وتمنوا لو يردون لهم الجميل! لو يعودون إلى الأرض فيتبرأوا من تبعيتهم لتلك القيادات العـاجزة الضـعيفة في حقيقتـها،التي خدعتهم ثم تبرأت منهم أمام العذاب!

إنه مشهد مؤثر:مشهد التبرؤ والتعادي والتخاصم بـين التـابعين والمتبوعين.بين المحبين والمحبوبين!

وهنا يجيء التعقيب الممض المؤ لم:«كَذلِكَ يُرِيهِمُ اللَّـهُ أَعْمـالَهُمْ حَسَراتٍ عَلَيْهِمْ،وَما هُمْ بِخارِجِينَ مِنَ النَّارِ» ..[54]

---

**الرابع– التقليد الأعمى للآباء والأجداد:**

قال تعالى:{وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ (١٠٤)} [المائدة:١٠٤]

[54] – في ظلال القرآن للسيد قطب–ط١ – ت– علي بن نايف الشحود (ص: ٣٦٨)

وَإذا دُعُوا إلَى مَا شَرَعَهُ اللهُ وَأَوْجَبَهُ،فِي القُرْآنِ،مِنَ الأَحْكَامِ المُؤَيَّدَةِ بالحُجَجِ وَالأَدلَّة،وَإِلَى رَسُولِه المُبَيِّنِ لِمُجْمَلِ هَذِه الأحْكَـامِ،وَإلَى تَرْكِ مَا حَرَّمَهُ اللهُ قَالُوا:يَكْفِينَا أنْ نَتَّبِعَ مَا وَجَـدْنَا عَلَيـهِ الآبَـاءَ وَالأجْدَادَ مِنَ الطَّرَائِقِ وَالمَسَالِكِ وَالمُعْتَقَدَات.فَإذا كَانَ آبَـاؤُهُمْ لاَ يَفْقَهُونَ شَيْئاً،وَلا يَعْرِفُونَ حَقّاً،وَلاَ يَهْتَدُونَ إليه،فَكَيْفَ يَتْبعُـونَهُمْ وَالحَالَةُ هَذِه؟ إنَّهُمْ إن اتَّبَعُوهُمْ كَانُوا بِلاَ شَكٍّ أكْثَرَ جَهْـلاً مِـنْ آبَائِهِمْ وَأضَلَّ سَبِيلاً[٥٥]

إن ما شرعه الله بيّن.وهو محدد فيما أنزل الله ومبين بما سنه رسوله ..وهذا هو المحك.وهذه هي النقطة التي يفترق فيها طريق الجاهلية وطريق الإسلام.طريق الكفر وطريق الإيمان ..فإما أن يدعى الناس إلى ما أنزل الله بنصه وإلى الرسول ببيانـه فيلبـوا ..فهـم إذن مسلمون.وإما أن يدعوا إلى الله والرسول فيأبوا ..فهم إذن كفـار ..ولا خيار ..

وهؤلاء كـانوا إذا قيـل لهـم:تعـالوا إلى مـا أنـزل الله وإلى الرسول،قالوا:حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا! فـاتبعوا مـا شـرعه العبيد،وتركوا ما شرعه رب العبيد.ورفضوا نداء التحـرر مـن عبودية العباد للعباد،واختاروا عبوديـة العقـل والضـمير،للآباء

---

[٥٥] – أيسر التفاسير لأسعد حومد (ص: ٧٧٤، بترقيم الشاملة آليا)

والأجداد.ثم يعقب السياق القرآني علـــى مـــوقفهم ذاك تعقيـــب التعجيب والتأنيب:«أَوَلَوْ كانَ آبـــاؤُهُمْ لا يَعْلَمُـــونَ شَـــيْئاً وَلا يَهْتَدُونَ؟ » ..

وليس معنى هذا الاستنكار لاتباعهم لآبائهم ولو كانوا لا يعلمون شيئا ولا يهتدون،أن لو كان يعلمون شيئا لجاز لهم اتباعهم وترك ما أنزل الله وترك بيان الرسول! إنما هذا تقرير لـــواقعهم وواقـــع آبائهم من قبلهم.فآباؤهم كذلك كانوا يتبعون ما شـــرعه لهـــم آباؤهم أو ما شرعوه هم لأنفسهم.ولا يركن أحد إلى شرع نفسه أو شرع أبيه،وبين يديه شرع الله وسنة رسوله،إلا وهو لا يعلـــم شيئا ولا يهتدي! وليقل عن نفسه أو ليقل عنه غيره ما يشاء:إنـــه يعلم وإنه يهتدي.فالله – سبحانه – أصدق وواقع الأمـــر يشـــهد ..وما يعدل عن شرع الله إلى شرع الناس إلا ضال جهول! فـــوق أنه مفتر كفور![٥٦]

وقال تعالى:{وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِـــعُ مَـــا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ} [لقمان:٢١]

[٥٦] – في ظلال القرآن للسيد قطب-ط١ – ت- علي بن نايف الشحود (ص: ١٣٩٩)

وهؤلاءِ الذينَ يُجَادِلُونَ فِي اللهِ بغَيرِ عِلْمٍ،وَلاَ كِتاب،لا مَطْمَعَ فِـــي هِدَايَتِهم،فإنَّهُمْ إذا دُعُوا إلى اتِّبَاعِ مَا أَنزَلَ اللهُ على رَسُـــولِه مِـــنْ شَرْعٍ وهُدى قَالُوا:إنّهُم يُفَضِّلُونَ اتِّبَاعَ مَا وَجَدُوا عَليه آباءَهُمْ مِنْ دِينٍ،لأنَّ آباءَهُمْ،وَأَسْلافَهُمْ لاَ يَقَعُونَ جَميعاً فِي الخَطَأ .
ويَرُدُّ اللهُ تَعَالى عليهم قَائلاً:أَيَتَّبِعُونَ آبَاءَهُمْ وأَسْلاَفَهُمْ حَتَّى وَلَـــو كَانُوا عَلَى خَطَأٍ وَضَلاَلٍ فيما يَعْبُدُونَ؟ وَحَتَّى وَلَوْ كَانُوا يَتَّبِعُونَ ما زَيَّنَتْ لَهُمْ الشَّيَاطِينُ؟ وَمَنِ اتَّبَعَ الشَّيطَانَ أَوْصَلَهُ إلى نَـــارِ جَهَـــنَّمَ وَسَعِيرِهَا .[٥٧]

فهذا هو سندهم الوحيد،وهذا هو دليلهم العجيب! التقليد الجامد المتحجر الذي لا يقوم على علم ولا يعتمد على تفكـــير.التقليـــد الذي يريد الإسلام أن يحررهم منه وأن يطلق عقولهم لتتدبر ويشيع فيها اليقظة والحركة والنور،فيأبوا هم الانطلاق من إسار الماضـــي المنحرف،ويتمسكوا بالأغلال والقيود.

إن الإسلام حريـــة في الضـــمير،وحركة في الشـــعور،وتطلع إلى النور،ومنهج جديد للحياة طليق من إسار التقليد والجمود.ومـــع ذلك كان يأباه ذلك الفريق من الناس،ويدفعون عـــن أرواحهـــم هداه،ويجادلون في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير ..ومـــن

---

[٥٧] – أيسر التفاسير لأسعد حومد (ص: ٣٣٧١، بترقيم الشاملة آليا)

ثم يسخر منهم ويتهكم عليهم،ويشير من طرف خفي إلى عاقبة هذا الموقف المريب:«أَوَلَوْ كانَ الشَّيْطانُ يَدْعُوهُمْ إِلى عَذابِ السَّعِيرِ؟ » ..

فهذا الموقف إنما هو دعوة من الشيطان لهم،لينتهي بهم إلى عذاب السعير.فهل هم مصرون عليه ولو قادهم إلى ذلك المصير؟ ..لمسة موقظة ومؤثر مخيف،بعد ذلك الدليل الكوني العظيم اللطيف.[٥٨]

قال تعالى:{ بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ (٢٢) وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ (٢٣) قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكُمْ بِأَهْدَى مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ (٢٤) فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ (٢٥)} [الزخرف]

وَإِذْ فَقَدَ الْمُشْرِكُونَ كُلَّ حُجَّةٍ وَدَلِيلٍ عَلَى صِحَّةِ مَا ذَهَبُوا إِلَيهِ مِنْ عِبَادَةِ الأَصْنَامِ،قَالُوا:إِنَّهُمْ وَجَدُوا آبَاءَهُمْ يَعْبُدُونَهَا فَعَبَدُوهَا،وَاتَّبَعُوهُمْ فِي ذَلِكَ مُقتدِينَ بِهِمْ،لأَنَّهُمْ يَعْتَقِدُونَ أَنَّ آباءهُمْ أَرْجَحُ مِنْهُمْ عُقُولاً،وَأَصَحُّ أَفْهَاماً،فَلاَ يُمكِنُ أَنْ يَكُونُوا فِي عِبَادَةِ الأَصْنَامِ عَلَى ضَلاَلٍ .

---

[٥٨] - في ظلال القرآن للسيد قطب-ط١ - ت- علي بن نايف الشحود (ص: ٣٥٤٩)

وَلَيْسَتْ مَقَالَةُ مُشْرِكِي قُرَيشٍ هَذه شَيئاً مبْتَـدعاً منْهُمْ،فَـإِنَّ اللهَ تَعَالَى لَمْ يُرْسلْ رَسُولاً إِلَى قَرْيَة منَ الأُمَم السَّالفَة إلاَّ قَـالَ أَهْـلُ الجَاه والرِّيَاسَة فيهَا:إِنَّهُمْ وَجَدُوا آبَاءَهُمْ عَلَى دين وَملَّة ( أُمَّـة ) وَإِنَّهُمْ يَتْبَعُونَ طَرِيقَهُمْ،وَيَسيرُونَ عَلَى نَهْجهِمْ،وَيَقْتَدُونَ بِهِمْ فيمَـا كَانُوا يَفْعَلُونَ .

فَقَالَ لَهُمَ رَسُولُهُمْ:وَهَلْ سَتَسْتَمرُّونَ في السَّيْرِ عَلَى نَهْجِ آبَـائكُمْ وَأَسْلاَفكُمْ حَتَّى وَلَوْ جئْتُكُمْ بِمَا هُوَ أَكْثَرُ هدَايَةً إِلَى طَرِيقِ الحَـقِّ؟ فَرَدُّوا عَلَيْه قَائلينَ إِنَّهُمْ مُقيمُونَ عَلَى دينِ آبَائهِمْ وَلَوْ جَاءَهُمْ بِمَـا هُوَ أَفْضَلُ وَأَهْدَى،وَإِنَّهُمْ كَافرُونَ بِمَا جَاءَهُمْ بِه،فَلاَ فَائـدَةَ فـي دَعْوَتهِمْ إِلَى تَرْك دينِ آبَائهِمْ .

فَأَنْزَلَ اللهُ بَأْسهُ وَنَقْمَتَهُ عَلَى هَؤُلاَءِ المُكَذِّبينَ لرُسُلهِمْ منَ الأُمَـمِ الخَاليَة،فَانْظُرْ يَا مُحَمَّدُ كَيْفَ كَانَ عَاقبَـةُ أَمْرِهمْ،وَكَيْـفَ أَنَّ اللهَ تَعَالَى دَمَّرَ عَلَيْهِمْ ديَارَهُمْ فَلَمْ يَتْرُكْ لَهُـمْ بَاقيةً،كَـذَلكَ يَفْعَـلُ بالْمُجْرِمينَ .[٥٩]

وهي قولة تدعو إلى السخرية،فوق أنها متهافتة لا تستند إلى قوة.إنها مجرد المحاكاة ومحض التقليد،بلا تدبر ولا تفكر ولا حجة ولا دليل.وهي صورة مزرية تشبه صورة القطيع بمضي حيث هو

[٥٩] – أيسر التفاسير لأسعد حومد (ص: ٤٢٢٦، بترقيم الشاملة آليا)

منساق ولا يسأل:إلى أين نمضي؟ ولا يعـــرف معـــالم الطريـــق!
والإسلام رسالة التحرر الفكري والانطلاق الشعوري لا تقر هذا التقليد المزري،ولا تقر محاكاة الآباء والأجـــداد اعتـــزازا بـــالإثم والهوى.فلا بد من سند،ولا بد من حجـــة،ولا بـــد مـــن تـــدبر وتفكير،ثم اختيار مبني على الإدراك واليقين.
وفي نهاية هذه الجولة يعرض عليهم مصائر الذين قالوا قولتهم تلك واتبعوا طريقهم في المحاكاة والتقليد،وفي الإعراض والتكذيب،بعد الإصرار على ما هم فيه على الرغم من الإعذار والبيان! «وَكَذلِكَ ما أَرْسَلْنا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قالَ مُتْرَفُوها:إِنَّا وَجَـــدْنا آباءَنا عَلى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلى آثارِهِمْ مُقْتَدُونَ.قالَ:أَوَلَوْ جِئْتُكُمْ بِأَهْدى مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آباءَكُمْ؟ قالُوا إِنَّا بِما أُرْسِلْتُمْ بِهِ كافِرُونَ.فَانْتَقَمْنا مِنْهُمْ:فَانْظُرْ كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ» ..
وهكذا يتجلى أن طبيعة المعرضين عن الهـــدى واحدة،وحجتـــهم كذلك مكرورة:«إِنَّا وَجَدْنا آباءَنا عَلى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلـــى آثـــارِهِمْ مُهْتَـــدُونَ» أو «مُقْتَـــدُونَ» ..ثم تغلـــق قلـــوبهم علـــى هـــذه المحاكاة،وتطمس عقولهم دون التـــدبر لأي جديـــد.ولـــو كـــان أهدى.ولو كان أجدى.ولو كان يصدع بالدليل.وثم لا يكون إلا التدمير والتنكيل لهذه الجبلة التي لا تريد أن تفتح عينيها لتـــرى،أو

تفتح قلبها لتحس،أو تفتح عقلها لتستبين ..وهذا هو مصير ذلـــك الصنف من الناس يعرضه عليهم لعلهم يتبينون عاقبة الطريق الذي يسلكون.[٦٠]



---

[٦٠] - في ظلال القرآن للسيد قطب-ط١ - ت- علي بن نايف الشحود (ص: ٣٩٨٩)

## الخلاصة في مضار (القدوة السيئة)

(١) من يكون قدوة سيّئة للنّاس يسخط اللّه عليه

(٢) يأتي في الآخرة يحمل لواء الخزي لأتباعه.

(٣) يتبرّأ يوم القيامة من أتباعه ويلعن بعضهم بعضا.

(٤) يمقته النّاس ويحترسون منه.

(٥) يكون سببا للغواية والضّلال ويدعو لاتّباع سبل الشّيطان.

(٦) يكره نفسه الّتي بين جنبيه إذ يعرف حقيقة نفسه.[٦١]

❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁

[٦١] - نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم (٨/ ٣٦٣٧)

## الفهرس العام